السنة السادسة

العدد الاول

مجلة دار المعلمين

مجلة تصدرها دار المعلمين اربع مرات في السنة

قيمة اشتراكها السنوي **٢٥** غرشاً مصرياً

مطبعة بيت المقدس بالقدس

مجلة دار المعلمين

العدد الاول ٣٠ تشرين الثاني ١٩٢٥ – ١٥ جمادى الاولى ١٣٤٤ السنة السادسة

نظام التعليم التركي [1]

والتعليم في فلسطين في عهدي الاتراك والانكليز

(من رسالة للاستاذ احمد سامح الخالدي وضعها باللغة الانكليزية ثم نقلها الى العربية والرسالة لم تطبع بعد)

لا ريب ان البحث في نظام التعليم الذي كان متبعاً في فلسطين قبل الاحتلال لا يكون تاماً اذا لم ندرس نظام التعليم التركي فان فلسطين لم تكن سوى مقاطعة من املاك الدولة العثمانية متأخرة في تعليمها العمومي

(١) اثرنا لفظة تركي لان الدولة وان كانت عثمانية الاسم الا ان العنصر التركي كان هو المسيطر

ومعتمدة عَلَى ولايات الشام وبيروت والاستانة في تعليمها الثانوي والعالي ولم يكن هناك نظام مستقل في فلسطين حاشا عدد من المدارس الابتدائية والثانوية متشابهة في نظامها وموزعة في انحاء البلاد · فعلى القارئ اذن ان يتذكر ان مقاطعتي فلسطين الشماليتين (اي لواءي نابلس وعكا) كانتا تابعتين اداريا لبيروت وكانتا مرتبطتين بها في جميع اعمال الحكومة ·

ومن المؤسف ان المصادر التي يستطيع الكاتب ان يعتمد عليها في البحث عن نظام التعليم التركي محدودة وغامضة مع ان نظارة المعارف في الاستانة كانت تنشر سنويا كتابا تضمنه جداول واحصاءات مع وصف اجمالي لنظام التدريس ومنهاج الدراسة الا انه من الصعب الحصول على نسخ من هذه الكتب وقد بطل نشرها قبل اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ ومع هذا فان دائرة الاحصاءات في نظارة المعارف ظلت تنشر احصاءات تامة مرتبة على الاصول الحديثة وقد توفق كاتب هذه الاسطر الى الحصول على نسخة منها لسنة ١٣٢٩ رومية (١٩١٣) فاستعان بها على اخذ كثير من الارقام الواردة في هذه الرسالة

اما المؤلفون الاجانب الذين كتبوا في هذا الموضوع فقد اوجزوا كل الايجاز وحصروا ابحاثهم في مدارس المبشرين ومؤسساتهم وكذلك قام بعض مصلحي الترك وغلاة الوطنية فيهم عند اعلان الدستور ينتقدون نظام التعليم انتقادا مرا ووصفوه وصفا مجملا ولكن مثل هذه الكتابات لا يمكن الاعتماد عليها لان كاتبيها سياسيون لا مربون

ولا يغرب عن البال ان بلاداً كتركيا لم تنشأ قوانينها المدنية فيها بل اقتبستها عن الخارج وان الحكومة فيها ضعيفة وموظفيها مهملون وفي كثير من الاحيان غير اكفياء اضف الى ذلك تحكم العادة والدين لا عجب اذا ظل القانون حبراً على ورق وحكمت العادة مكانه . ولهذا السبب يدهش المرء عند درسه نظام الحكومة في تركيا ان يرى البون الشاسع بين القانون وما ينفذ منه الى درجة ان موظفي المعارف في العهد التركي لا يمكنهم في كثير من الاحوال ان يجيبوك على بعض المسائل الاولية عن جباية ضرائب المعارف او ترتيب الميزانية او سياق الدروس او غير ذلك من مميزات النظام الذي مارسوا عملهم فيه مدة غير يسيرة .

ولقد كان نصيب نظام التعليم التركي الذي ادخل في منتصف القرن التاسع عشر الفشل التام . نعم ان اختبار سبعين عاماً ولّد نظاماً متشابهاً بالاسم الا انه نظام مصطنع اذ لم يكن سوى نسخة مشوهة عن نظام اجنبي ادخل الى بلاد مؤلفة من جنسيات مختلفة وطوائف دينية غريبة . فان التركي لم يجرب في يوم من الايام ان يضع نظاماً وطنياً للتعليم ومثل هذا النظام لم ينشأ ابداً .

وان سياسة التركي السلبية وتركه الامور تسير على طبيعتها او ما يعبرون عنه بتساهل الشرقيين لم تكن الا اهمالاً وقصر نظر وعدم تقدير العواقب قدرها . هذه في نظرنا هي اهم العوامل المسؤولة عن سقوط الدولة العثمانية وبالتالي فشل نظام التعليم فيها

ولا يخفى ان الدولة العثمانية بخلاف غيرها من الدول كانت مؤلفة

من عناصر متباينة في المعتقدات والعوائد والاصل لا رابطة تربطهم سوى الصدفة التي جعلتهم يسكنون نفس البلاد · ولم تقم الحكومة بعمل حقيقي لايجاد كتلة متشابهة من هذه العناصر المختلفة بل اكتفت بتأسيس مدارس رسمية وقيدتها بمنهج سطحي ضيق وتركت كل طائفة حرة في ادارة مدارسها الابتدائية الى العالية · كما انها لم تتعرض لعوائدها واميالها واقتصرت كما قلنا على تاسيس سلسلة من المدارس الابتدائية الى العالية ووضعتها تحت نظام صارم واهملت الحاجات المحلية · فليس من الغريب والحالة هذه ان يظل نظام التعليم المركزي غريباً عن الشعب ولا عبرة في بعض الطبقات التي كانت تفضل مدارس الحكومة كما سياتي معنا

واذا جاز لنا ان نصف نظام التعليم التركي وصفاً اجمالياً · نقول انه نسخة مشوهة عن نظام التعليم الافرنسي ولكن الاتراك الذين كانت تنقصهم قوة الابداع اثبتوا دوماً مقدرتهم على التقليد · الا ان تقليدهم هذا كان تقليداً اعمى

تاريخ نظارة المعارف في تركيا

لم يكن للحكومة نظام للتعليم حتى منتصف القرن الثالث عشر للهجرة وجل ما كان هناك بعض مدارس اسسها السلاطين او مدارس خاصة او دينية ملحقة بالجوامع وكان السلطان سليم الثالث(١٧٨٩—١٨٠٧) قد اسس بعض مدارس عسكرية لاسباب حربية على اثر الغائه نظام

الانكشارية . (راجع دائرة المعارف البريطانية المجلد ٢٧ في البحث عن تركيا)

وفي سنة ١٢٥٤ رومية (١٨٣٨) قدم مجلس (النافعة) الاشغال العمومية عريضة طويلة الى السلطان محمود الثاني بين له فيها ضرورة تأسيس مدارس منظمة على الاساليب الحديثة ليتمكن الطلاب منها ان يعدوا انفسهم لدراسة الهندسة والطب وفي الوقت نفسه يتعلمون اللغات التركية والعربية والفارسية والافرنسية فحازت هذه العريضة قبولاً عند السلطان فأمر بتأسيس مدارس رشدية (ابتدائية راقية في) العاصمة عَلَى اساليب حديثة وعهد بادارتها الى امام زاده اسعد افندي وبين بصفة خاصة ان خريجي هذه المدارس يصبحون اهلاً للوظائف العامة ويفضلون عَلَى غيرهم في التعيين وطلب من موظفي الحكومة العادبين ان يداوموا على هذه المدارس في ساعات معينة لتوسيع معرفتهم .

وفي سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) عينت لجنة موقتة لسن قوانين وانظمة للمدارس . وبعد ذلك بسنة اعيد تنظيم المدارس الابتدائية والرشدية الموجودة حينئذ وأسست « دار الفنون » وفتح فيها صفوف ليلية ونهارية لطلاب المناصب العالية . وفي تلك السنة تألف مجلس المعارف الأعلى وتعين الجنرال امين باشا رئيساً له . وبعد ذلك اقيمت دائرة للمدارس العمومية وعهد مرة ثانية لامام زاده اسعد افندي برئاستها . ولقب بمدير المدارس العمومية وذلك سنة ١٢٦٣ (١٨٤٧)

ولما كثرت المدارس الحديثة شعر بحاجة الى معلمين مدربين فاسست

دار المعلمين وذلك ١٨٤٨ (١٢٦٤) وكانت اول معهد رسمي من جنسه في الممالك العثمانية · ولم يقف العمل عند هذا الحد ففي سنة ١٨٥١ تألف مجلس أعلى من اربعين عضواً للبحث في انتقاء الكتب ووضع منهاج التعليم واقتصر التعليم العمومي الى ذلك التاريخ عَلَى العاصمه تحت نظارة مدير المدارس العمومية ومجلس المعارف الأعلى كما ذكر سابقاً

وجاءت سنة ١٨٥٧ فتأسست نظارة المعارف وتعين لها سامي باشافكان اول ناظر للمعارف في تركيا ولهذه الفترة شأن كبير في تاريخ التعليم العمومي في تركيا لانه من هذا التاريخ فتحت المدارس في انحاء المملكة عَلَى أسس واسعة عَلَى حين كان التعليم قبل اليوم مقتصراً على الاستانة

ثم جاء عهد السلطان عبد المجيد (١٨٣٩—١٨٦١) فجاء معه تغيير كبير فان السلطان عبد المجيد هو الذي اعلن التنظيمات المعروفة « بخطى شريف كلخانه » وهي الوثيقة التي منحت الحرية التامة لجميع عناصر الدولة العثمانيــة بقطع النظر عن جنسيتهم او مذهبهم ولم يقف عند هــذا الحد بل نظم ادارة الحكومة عَلَى اساليب حديثة وفتح مدرسة الملكية العالية (١٨٥٩) لتخريج الشبان في مناصب الحكومة الادارية والسياسية وفي السنة نفسها فتحت لاول مرة مدارس رشدية في الولايات وتأسست مدرسة « لفن الاحراج » في الاستانة وبعد خمس سنين (١٨٦٤) قسمت نظارة المعارف الى دائرتين عهد الى واحدة منها ادارة التعليم عموماً والمدارس الاسلامية خصوصاً والى الاخرى ادرة المدارس الابتدائية والثانوية (الاعدادية) والعالية ·

وفي سنة ١٨٦٧ تألفت لجنة خاصة لترجمة الكتب المدرسية من اللغات الاجنبية وظلت تعمل حتى سنة ١٨٨١ ثم انحصر عملها في مراقبة الكتب وتفتيشها٠

ومما يجدر بالذكر هنا ان اول مدرسة سلطانية (ثانوية)على الطراز الحديث تأسست في العاصمة سنة ١٢٨٥ (١٨٦٩) واطلق عليها اسم (سلطاني غلطه) وادخلت اللغة الافرنسية مع غيرها من المباحث في لائحة الدروس ثم صارت لغة التدريس فيها٠ وفي السنة نفسها نظمت دار المعلمين على الاسلوب الحديث في العاصمة وزيد عدد المدارس الرشدية في الولايات وتأسست في العاصمة لاول مرة مدرسة رشدية للاناث ويرجع تأسيس المدرسة الطبية لهذا التاريخ ايضاً

ولما شعر بالحاجة الى معلمات قانونيات مدربات فتحت مدرسة دار المعلمات وذلك سنة ١٨٧١ وفي الوقت نفسه اعيد تنظيم داري المعلمين وزيد عدد صفوفهما ٠

ولم يبتدئ تنظيم التعليم في الولايات الا سنة ١٢٩٧ (١٨٨١) حين تشكلت لجان المعارف فيها ٠ ووجد من الضروري تعيين مديرين للمعارف في الولايات لمساعدة هذه اللجان ومن هذا التاريخ تأسست المدارس العمومية في فلسطين وغيرها من الولايات والالوية فكانت هذه اول خطوة في سبيل نشر التعليم في انحاء تركيا وعلى القارئ ان يذكر ذلك٠ وشعر السلطان عبد الحميد الثاني سنة (١٨٧٦) بحاجة المقاطعات الى توسيع نطاق التعليم فاصدر ارادته سنة ١٨٨٢ بانفاق ريع بعض الاوقاف

وهي المعروفة بالاوقاف المندرسة عَلَى تعليم اولاد المسلمين في المقاطعات وكان ريع هذه الاوقاف يرسل قبل هذا التاريخ الى الاستانة · وعهد الى لجان المعارف المحلية بالمناظرة عليها وبعد سنتين عاد فامر ان يخصص ربع ريع هذه الاوقاف لتنفق في الاستانة· ولزيادة واردات المعارف الاهلية أضيف رسم نصف في المائة على ضريبة العشر (ثم رفع هذا الرسم الى واحد في المائة (١٩٠٩ — ١٩١٠) وخمسة في المائة على الويركو (ضريبة الاملاك غير المنقولة) وخصصت هذه الزيادة لمنفعة التعليم المحلي ·

وفي ذات السنة اي سنة ١٨٨٢ فتحت المدارس الاعدادية (نوع من المدارس الثانوية) في الولايات والغرض منها تعليم الاولاد من جميع الطوائف تعليماً ثانوياً · والى هذا التاريخ يرجع تنظيم التعليم الثانوي في المملكة العثمانية على قواعد واسعة ·

ولا يخفى ان الطوائف الدينية المختلفة تركت وشأنها في تعليم ابنائها فانتشرت المدارس الاجنبية التبشيرية انتشاراً عظيماً ولم يكن للدولة سلطة حقيقية عليها الا انه في سنة ١٨٨٤ وجد من الضروري ان ترضخ المدارس الاجنبية ومدارس غير المسلمين العثمانية لشيء من تفتيش نظارة المعارف · فتأسست ادارة خاصة في نظارة المعارف لهذه الغاية وعين قسطندي باشا رئيساً لها · وكان عملها ان تقوم بتفتيش هذه المدارس وتجمع الاحصاءات وتقدم التقارير عنها للنظارة·

وفي تلك السنة فتحت مدرسة الحقوق والتجارة ومدارس صناعية للاناث واخرى عمومية صناعية في العاصمة · وشعر السلطان بالحاجة الى

تحسين التعليم فامر في سنة ١٨٨٦ ان تؤخذ نصف ضرائب المعارف في المقاطعات وتنفق على المعاهد العالية في الاستانة.

ولم تكن الدولة تهتم بتعليم الاولاد المصابين بالعاهات الطبيعية حتى سنة ١٨٨٧ فانها أسست مدرسة للعميان واخرى للصم في العاصمة ومع ان القانون نص على الاهتمام بهؤلاء التعساء وتعليمهم الا ان فكرة الاهتمام بهؤلاء في المقاطعات لم تتحقق وظل امثال هؤلاء تحت رحمة المؤسسات الاجنبية التي كانت موجودة بكثرة في انحاء المملكة العثمانية.

ولما كثرت المدارس الاعدادية شعر بالحاجة الى المعلمين الاكفاء فتأسست دار معلمين عالية لتخريج المعلمين للمدارس المذكورة في العاصمة سنة ١٨٩٠ (١٣٠٨) وكانت المدارس الاعدادية في الولايات والالوية حتى هذا التاريخ نهارية. الا ان بعض الولايات اضافت اقساماً ليلية لمدارسها الاعدادية

ووجد من المناسب لاسباب سياسية ان يعتنى باولاد مشايخ القبائل من الاقطار العربية خاصة فتأسس لهذه الغاية مكتباً في العاصمة اطلق عليه اسم (مكتب العشائر) وصار يؤتى باولاد المشائخ من العراق والحجاز واليمن وسوريا الى الاستانة ويدخلون هذه المدرسة فيتعلمون وياكلون وينامون على نفقة الدولة وعند اتمامهم دروسهم كانوا يلتحقون بالجيش او يرسلون الى مقاطعاتهم التي جاءوا منها كمعلمين او موظفين ومما لا ريب فيه ان هذه التجربة نجحت نجاحاً سياسياً فان هؤلاء الشبان العرب الذين كانوا يمكثون مدة في العاصمة تحت عوامل جديدة كانوا يخرجون

امناء لدولتهم فكانوا عوناً لها وصاروا صلة اتصال بين القبائل العربية والدولة

وفي سنة ١٣١١ (١٨٩٣) اعيد تنظيم مناهج المدارس الابتدائية والرشدية والاعدادية وانقصت مدة التعليم الابتدائي من اربع سنوات الى ثلاث فصارت كمدة التعليم الرشدي في العاصمة اما المدارس الابتدائية في القرى فزيدت سنة وهكذا اصبحت مدة الدراسة فيها اربع سنوات

اما مدة التدريس في المدارس الاعدادية فجعلت خمس سنوات في الالوية وسبع سنوات في الولايات فكان الطالب عندما يتخرج من هذه الاخيرة يؤهل نفسه للتعليم العالي في العاصمة او الخارج ٠

ولما جاء الدستور زاد عدد المدارس بالمئات ولا سيما في المقاطعات التركية نذكر على سبيل المثل متصرفية مرعش التي لم يكن فيها قبل الدستور سوى مدرسة عمومية واحدة فصار فيها ٤٠ بعد ذلك التاريخ اي بزيادة ٣٩ مدرسة وكذلك ولاية قسطموني فقد كان فيها ١٩ مدرسة قبل الدستور فصار فيها ٢٥٧ بعده اما القدس فكان فيها ٨ مدارس فصار فيها ثلاثين وكان مجموع المدارس العمومية في المملكة العثمانية ١٨٣٤ مدرسة قبل اعلان الدستور فصار ٤٥٢٢ مدرسة بعده ٠ وفي سنة ١٩١٠ — ١٩٠٩ اعيد النظر في قوانين المعارف واعلن التعليم اجبارياً للاولاد الذين سنهم بين السابعة والسادسة عشر والبنات اللواتي بين السادسة والرابعة عشر ونص القانون على مجازاة اولياء الطلبة الذين يتغيبون عن المدرسة بدون عذر مشروع بعقوبة الجزاء النقدي اولاً والحبس ثانياً ٠ على ان هذا القانون لم يمكن تنفيذه لان عدد المدارس

العمومية الموجودة لم تكن لتكفي الاولاد الذين هم تحت سن الدراسة . ونص هذا القانون ايضاً على جعل القرى والمدن مسئولة للقيام بنفقات التعليم الابتدائي العمومي.

ومما هو جدير بالذكر ان الاصلاح تناول المدارس الثانوية سنة ١٩١٣ فابدلت المدارس الاعدادية في الولايات الى مدارس سلطانية (اولية — ذات الاثني عشر صفاً) وقسمت الثلاث سنوات الاخيره فيها الى شعبتين ادبية وعلمية فكانت الاولى تعد الطلبة لدار الفنون العالية ودار المعلمين العالية وشعبة الالاهيات في دار الفنون والاخرى لمدارس الطب والحقوق والهندسة الخ [١]. وكذلك اعيد تنظيم المدارس الاعدادية على اسس حديثة وجعل فيها شعب مختلفة عمومية وتجارية وصناعية وزراعية الا ان النقص في المعلمين واعلان الحرب الكبرى اوقفا سير هذه التجربة النافعة

ولما اعلنت الحرب الكبرى لم يكن في الامكان السير بالمعارف والتعليم الى الامام كثيراً الا انه نظراً لنفوذ الالمان في الدولة الحق مستشار الماني بنظارة المعارف ولكن الوقت لم يساعد لتظهر نتائج ما كان قد اختط ولا ريب ان الاتراك تنبهوا الى شأن التعليم بعد سنة ١٩٠٨ فزادوا عدد المدارس الابتدائية والسلطانية ونظموا دور المعلمين وادخلوا الاساليب الحديثة في مدارسهم واختاروا كتباً حديثة وانقلبت فكرة «عثمنة» العاصر التي تتألف منها المملكة والتي كانت تشغل ادمغة الوطنيين

---

(١) اشترط للدخول في دار الفنون اجتياز امتحان البكلوريا (ملازمت رؤوس) الا ان هذه التجربة لم تنجح فاكتفي بشهادة السلطاني

سنة ١٩٠٨ الى فكرة طورانية.

وهكذا فشلت تجربة جمع هذه العناصر المتباينة سياسياً وتربية فوجه الاتراك اهتمامهم الى الولايات التركية واهملوا المقاطعات الاخرى ولاسباب سياسية سمحوا بجعل اللغه العربية لغة التدريس في مدرستين سلطانيتين احداهما في بيروت والاخرى في الشام الا ان هذه المنحة لم تدم فالغيت هذه المدارس ابان الحرب الكبرى وجاء بعد ذلك الحرب فحرك الروح الوطنية وعمد الوطنيون لالباس المدارس حلة وطنية تركية فزادوا الاهتمام في الادبيات التركية والتاريخ التركي واكثروا من الاناشيد الوطنية الا ان الوقت كان قد مضى وسقطت الدولة العثمانية امام جيوش الحلفاء فذهبت مساعيهم سدى.

وهكذا فان الاتراك لم يوجدوا نظاماً للتعليم موافقاً لاحتياج وحالة المملكة بل قلدوا اوروبا واحسنوا تقليدها ولكن الغاية الحقيقية من التعليم لم تحقق فظلت الامة فقيرة منقسمة على نفسها قليلة المعرفة سطحية في اساليب تعليمها وسارت المدارس الاجنبية شوطاً بعيداً وظلت المدارس العمومية غريبة فكانت سلماً لوظائف الحكومة ليس الا ولا ريب ان مثل هذا النظام السطحي مصيره الفشل وقد كان كذلك. لقد حكم الترك اربعمائة عام فكان ما قدموه الى التعليم قليلاً جداً ولقد زالت مملكتهم الآن ولم يتركوا لنا سوى بعض الابنية موزعة في انحاء البلاد

يمكننا تقسيم المدارس في تركيا الى مدارس تابعة للحكومة ومدارس غير تابعة للحكومة والاولى الى عمومية وخصوصية والثانية الى اسلامية

ومسيحية ويهودية ·

ونعني بالمدارس غير التابعة للحكومة المدارس الاجنبية التابعة لجميع الشعوب من غير العثمانيين ·

اما التعليم الابتدائي فيدخل تحته مدارس الاطفال وصفوف الاطفال التابعة للمدارس الابتدائية ذات الست سنوات ومدارس الاعمال اليدوية · ويدخل تحت التعليم الثانوي المدارس الاعدادية ذات الخمس او الست سنوات في الالوية او المدارس السلطانية ذات الاثني عشر صفاً في الولايات وبعض الالوية · اما التعليم العالي فيدخل تحته ما كان يدرس في العاصمة وبعض الولايات المهمة في مدارس الطب والحقوق والهندسة والفنون والعلوم الخ · الخ ·

ويدخل تحت التعليم الفني التعليم التجاري والبحري والزراعي والبيطري اما تعليم الصم والبكم والعميان فكان محصوراً في العاصمة · ولنرجع الان للبحث في كل من درجات التعليم بالتفصيل فنقول :

التعليم الابتدائي : قالت المادة الاولى من قانون التدريسات الذي صدر في عهد السلطان رشاد سنة ١٩١٣ ان التعليم الابتدائي اجباري والمدارس العمومية الابتدائية مجانية · وهذا النوع من التعليم يلقن في المدارس العمومية او الخصوصية او على ايدي معلمين وعلى كل ولد بلغ سن الدراسة القانوني ان يداوم على احداها ما عدا ضعاف الاجسام او العقول فانهم معفون من هذا التعليم

اما مدارس الامومة وصفوف الاطفال فكانت خصيصاً للاولاد والبنات ما بين الرابعة والسابعة من عمرهم . وعملها ان تسعى في تقوية اجسامهم وارواحهم عن طريق الالعاب والتمارين والاناشيد الوطنية والمكالمات المتعلقة بالاشياء التي تحيط بهم

اما غرض التعليم الابتدائي فهو تهيئة الاساس اللازم لما سيتعلمه الطالب في المستقبل واعطائه العلم الضروري في حياة كل فرد من افراد المملكة . اما مدارس الاعمال اليدوية ومدارس الحرف التي كانت ملحقة بالمدارس الابتدائية فهي تعد الاولاد الذين اتموا تعليمهم الابتدائي ليحترفوا لانفسهم حرفة

وتقسم المدارس الابتدائية الى قسمين عمومية وخصوصية . ويدخل تحت الاولى المدارس التي تؤسسها وتنفق عليها الدولة سواء في الولايات او الالويةاو الاقضية او النواحي او القرى او الاحياء فيها . واما الثانية فيدخل تحتها المدارس التي تؤسسها وتنفق عليها الافراد او الجماعات او الشركات

عَلَى ان المدارس التي تؤسسها ادارة الاوقاف تحسب عمومية اذا اتبعت منهج التدريس المتبع في المدارس العمومية والاتعتبر من المدارس الخصوصية . وجاء في القانون المذكور في المادة الثامنة ان كل قرية او محلة يجب ان يكون فيها مدرسة ابتدائية عَلَى الاقل اما اذا رأى مجلس القرية بالاتفاق مع مجلس معارف القضاء ومجلس معارف الولاية ان يجمع عدة مدارس فى قرى متجاورة او احياء قريبة فيمكنه ان يفعل ذلك . ولتعميم تعليم الاناث نص القانون على انه اذا وجد في قرية او مدينة اكثر من

خمسين بنتاً تحت سن الدراسة فعلى اهالي القرية او الحي ان يفتحوا لهن مدرسة اما اذا كان عدد البنات اقل ولم تتوفر الشروط اللازمة فيمكن السماح للبنات ان يشتركوا في الدرس في المدارس الابتدائية.

وبموجب هذا القانون صار اهالي القرى والمدن مجبرين علَى الانفاق على التعليم الابتدائي بما فيه من نفقات الابنية والاثاث وعمالات المعلمين. وتوزع هذه النفقات على الاهالي بنسبة ما يدفعون الى الدولة من الاعشار وضريبة الاملاك غير المنقولة (الويركو) اما الذين لا يملكون اراضي او املاكاً غير منقولة فيدفعون بنسبة ضريبة التمتع (الضريبة الشخصية) اما الدولة فتقدم عملاً باجماع لجنة المعارف ما يحتاج اليه الاهالي من الاراضي الاميرية مجاناً للبناء فيها وتسمح لهم باقتطاع الاخشاب من الاحراج بدون مقابل.

المنهج : يقسم التعليم الابتدائي الى ثلاث درجات (دورات) وهي الدرجة الابتدائية — للاولاد بين السابعة والثامنة الدرجة الوسطى — للاولاد بين التاسعة والعاشرة الدرجة العالية — للاولاد بين الحادية عشرة والثانية عشرة ويدخل في مباحث التعليم الابتدائي القرآن الكريم للمسلمين والتعليم الديني لغير المسلمين (بحسب مللهم) القراءة ، الخط ، اللغة التركية ، علم الحساب ، علم الجغرافيا ، علم التاريخ ، علم دروس الاشياء ، علم درس الطبيعة ، علم الصحة ، المعلومات المدنية ، العمل اليدوي ، الرسم ، الغناء (الديني والوطني) وزيادة على ذلك يتمرن الاولاد على الالعاب الرياضية والبنات على الخياطة وتدبير المنزل وكان يهتم

بالتركية والجغرافية والتاريخ بصورة خاصة وكان هذا المنهج عرضة للتغيير والتنقيح اذا استحسن ذلك مجلس التدريسات الابتدائية في الولاية بشرط ان تتطلب الاحوال المحلية ذلك علَى ان الحصول على موافقة نظارة المعارف علَى هذا التغيير كان ضرورياً·

اما لغة التدريس في المدارس الابتدائية فكانت بالاسم اللغة السائدة في تلك المقاطعة اما اللغة التركية فكانت اجبارية في جميع المدارس الابتدائية العمومية·

وكان للمدارس في القرى منهجاً خاصاً يتضمن القرآن الكريم والتعليم الديني والخط والقراءة والحساب·

مجالس التعليم الابتدائي : كان في كل ولاية مجلس للتعليم الابتدائي يرأسه الوالي وينوب عنه في غيابه مدير معارف الولاية· وكان هذا المجلس مؤلفاً من ثلاثة اعضاء منتخبين من مجلس ادارة الولاية ومفتش معارف الولاية ومدير دار المعلمين واثنين من معلمي المدارس الابتدائية العمومية ينتخبهم المعلمون ورؤساء المدارس ومفتش من مفتشي التعليم الابتدائي تعينه النظارة ومعلمين ومديرين ينتخبهم معلمو المدارس الابتدائية الخصوصية· اما مدة عمل هذا المجلس فاربع سنوات ويجوز اعادة انتخاب الاعضاء· وكان عمل هذه المجالس استشارياً وكان لها الرقابة العامة على المدارس في مناطقها وحق ابداء الرأي فيما يقدمه مديرو ومفتشو المعارف لها من التقارير· ومن عملها ايضاً تشجيع التعليم الابتدائي وتنشيطه وتقديم الاقتراحات عن حالة المدارس الخصوصية او العمومية في الولايات

(تأتي البقية)

تحصينات القدس

وحصارها سنة ٧٠ م [1]

اكتشافات جديدة

لقد اسفرت الاعمال الحفرية الاثرية منذ بضعة اشهر عن وجود آثار سور قديم يبعد الى الشمال من التحصينات القائمة بالقدس في الوقت الحاضر. وهذه الآثار هي بقايا سور حصين شيد على اساس قوامه الحجارة الضخمة.

يذهب علماء الآثار الى ان بناء هذا السور يرجع تاريخه الى اوائل الدولة الرومانية. وهو يمتد من الطرف الجنوبي لملعب مدرسة مار جرجس ويمر غرباً بطريق رام الله الى البقعة التي هي قبالة المستشفى الايطالي. ويحسب القوم ان هذا السور هو سور القدس الثالث الذي ورد ذكره في كتابات الاقدمين والذي لا تزال جهته مختلفاً فيها واتجاه خطه لم تجتمع عليه الكلمة بعد

سور القدس الثالث

ليس بخافٍ ان معظم ما نعرفه عن السور الثالث من مصادر الادب

(١) بقلم حضرة المستر فرل مساعد مدير المعارف، نقلها الى العربية الاستاذ حبيب خوري

والتاريخ مستقى من كتاب « الحرب اليهودية » تاليف فلافيوس يوسيفوس الذي كان مرافقاً للجيش الروماني في اثناء حصار القدس الذي جرى فى سنة ٧٠ م. فانه يذكر ان السور شرع في بنائه اغريباس احد عمال او تابعي الامبراطور الروماني ، وان الاسس كانت في منتهي المتانة . علَى ان الملك انقطع عن العمل فيه بعد وضع اسسه لريبة خامرت الامبراطور اذ كان هذا يخشى ان يكون من وراء تحصين الاسوار التحفز الى العصيان . غير ان اليهود سارعوا فيما بعد الى إكماله تأهباً للثورة . ورواية يوسيفوس هذه تتلاءم كل التلاؤم مع هذه البقايا التي اكتشفت حديثاً . فان الأُسس مبنية من قطع حجرية ضخمة حسنة القطع ومبنيٌ فوقها في بعض الاماكن حجارةٌ اقلُ ضخامة واتقان قطع . ولذا نجد فيما يلي ان من المسلم بل من الثابت ان هذا السور الذي اكتشف حديثاً هو ما كان يصفه المؤرخون دائماً بالسور الثالث

اتجاه خط السور الثالث

ويظن من الخبر المذكور هنا عن محاصرة تيطس للقدس ان هذا التحصين وهو ابعد التحصينات الشمالية يمتد من زاوية الحرم الشمالية الشرقية ماراً بحلتي باب الساهرة والمصرارة ، واذ ذاك تكون دار المعلين والمدرسة الرشيدية واقعتين داخل اسوار القدس ومدرسة مار جرجس والكلية الانكليزية واقعتين خارج الاسوار قليلاً . ويظن ان خط الحفر المنظور اتجه غرباً ماراً بالمستشفى الايطالي فدار السر رونلد ستورس

فالعمارة الروسية حيث كان مبنياً برجٌ عالٍ يقال له « بسينفوس » . وقد قال يوسيفوس ان الشرق العربي ومنخفضات اقليم القدس كانت تُرى من عَلَى هذا البرج . ثم ان هذا السور اتجه الى الجنوب الشرقي في خط (هو طريق يافا الآن) الى باب الخليل حيث اتصل بالسور الذي هو الآن من تحصينات القدس

اما خبر حصار القدس الآتي ذكره فمبني عَلَى الزعم المؤذن بان السور الثالث امتد عَلَى الصورة التي بيناها الآن . عَلَى انه ينبغي ان يذكر القراء ان علماء الآثار لم يجمعوا امرهم من هذا القبيل

تحصينات القدس سنة ٧٠م

ولا مندوحة لنا قبل سرد حوادث الحصار وتعداد ماجرياته من وصف اماكن الدفاع في القدس . فان اسواراً ثلاثة كانت تحيط بكل المدينة او بقسم منها ، واماكن ثلاثة حصينة كانت قائمة إما عَلَى هذه الاسوار او داخلها .

اما الاماكن الحصينة فهي القلعة الحاضرة التي كانت تدعى في تلك الازمان « قلعة هيبيكس » و « قلعة انطونيا » و « الهيكل »

قلعة انطونيا

وهي واقعة شماليّ الحرم الشريف في بقعة قائمة عليها الثكنة التركية القديمة ومدرسة روضة المعارف . وكان لها ابواب تؤدي الى الحرم ،ومن هذه

الابواب كانت الجنود الرومانية توافي الحرم عندما كانت الحاجة تدعو الى ذلك لحفظ النظام في المواسم والاعياد · لانه كما كانت الطوائف المسيحية في زمن الدولة العثمانية تلجأ الى الجنود لحفظ النظام ولدفع كل ما يطرأ من الخصام في كنيسة القيامة هكذا كانت اليهود في ايام المرادسة (جمع هيرودس) تشاغب في الحرم حول الهيكل · ولذا كانت الحامية الرومانية في قلعة انطونيا تدخل الى الحرم بالقرب من باب السري (باب الغوارنة) وباب العتم · وجدير بالذكر ان المئذنة العالية القائمة في زاوية الحرم الغربية الشمالية تدل دلالة قوية على زاوية قلعة انطونيا الغربية ·

قلعة هيبيكس

(٢) ان قلعة هيبيكس كانت قائمة في مكان القلعة الحاضرة ·

الهيكل

(٣) ان الهيكل قديماً هو الحرم اليوم · وقد كان جداره الشرقي سور المدينة الاصلي · ولم يقصد به ان يكون من جوانبه الثلاثة محلاً للدفاع بل بني ليمكن تحويله وكل ملحقاته الى حصن اذا أمست المدينة في قبضة الاعداء · وهذا يتبدى جلياً اذا انعمنا النظر الى الحرم كما هو قائم الآن

وكانت دور الهيكل الداخلية قائمة في متوسط ساحة الحرم والهيكل نفسه محاطاً بسور · وهذه الدور ايضاً لم يُرمَ في بنائها الى جعلها اماكن

تحصين غير انه بولغ في تقوية بنائها ليمكن تحويلها عند الطوارئ المفاجئة الى حصون . وقد كان الهيكل ودوره الداخلية في مكان الساحة العالية المحيطة بقبة الصخرة ، والهيكل نفسه الى الشرق من القبة ، والحرم كله محاطاً بكولونيدس مفتوحة الى الحرم ومسدودة الى الخارج

السور الاول : كان قسم من السور الاول يحتوي على جداري الهيكل الشرقي والشمالي ، وعلى القسم الشمالي من جداره الغربي . وبالقرب من باب السلسلة امتد سورٌ غرباً ماراً بالوادي الى القلعة (قلعة هيبيكس) . وكان الوادي في ذلك الزمن اعمق مما هو عليه الآن . ثم اتجه هذا السور الى الجنوب محاذياً كل المحاذاة خط السور الحالي القائم بين القلعة وباب المغاربة

وعليه فالقسم الذي احاطه السور الاول من المدينة كان اقل امتداداً الى الشمال من المدينة الحالية . فان محلة النصارى جمعاء والاقسام الواقعة الى الشمال من الشارع الذي يصل باب الخليل بباب السلسلة كانت خارج السور الاول

السور الثاني : وقد اقيم سور ثان من الشمال ليضم ضاحية كانت قد نشأت . ويلوح لنا ان هذا السور بدأ من القسم الشمالي من السور الاول على مقربة من المرستان وامتد الى الشمال ثم الى الشرق حتى وصل الى انطونيا عند زاوية الحرم الغربية الشمالية . وكانت كنيسة القيامة وباب العامود خارج هذا السور

اما السور الثالث فقد سبق وصفه . وصفوة القول ان هذه هي التحصينات التي كانت موجوده عندما سار تيطس الى القدس وهاجمها

« تاتي البقية »

اسئلة رياضية جديدة[١]

نرجو ممن اراد من حضرات القرّاء الاجابة عليها

السؤال الاول : العدد ١٣٤٧٥٨٩٩ عبارة عن حاصل ضرب عددين اوّليين . فما العددان ؟

السؤال الثاني : س ، ص ، ع ، ك ، ل ، م ، ن ، هـ رموز الى ثمانية اعداد صحيحة موجبة فما هذه الاعداد الثمانية اذا عُلم انّ

س^{٢} — ص^{٢} = ع^{٢} — ك^{٢} = ل^{٢} — م^{٢} = ن^{٢} — هـ^{٢} = ٤١٩٩ ؟

السؤال الثالث : س (س + ٢٢) + ١٦ = عدداً صحيحاً مربعاً تاماً فما قيمة س ؟ للمسألة اربعه اجوبة

تمهيد للسؤال الرابع

ورد في كتاب الهندسة لهول واستفنز صفحة ٥٥ في بحث تطابق المثلثين ملخص الحالات التي ينطبق فيها المثلثان وذكر المؤلف هناك انه لا يلزم ان ينطبق المثلثان كلٌّ على الآخر تمام الانطباق اذا ساوى من احدهما

---

(١) للاستاذ ابرهيم قمر مدرس الرياضيات بدار المعلمين

مطلق ثلاثة اجزاء نظائرها من الآخر واورد على ذلك مثلين فالمرجو مراجعتهما في الصفحة المذكورة . والذي يراجع هذا البحث هناك قد يتوهم ان عدم لزوم الانطباق محصور فقط في ان يكون في المثلث الواحد ثلاثة اجزاء مساوية لمطلق ثلاثة اجزاء في الآخر الا انه عند التروّي يظهر جليًا ان هذا الانطباق قد لا يلزم حتى ولو ساوت مطلق اربعة اجزاء من احد المثلثين اربعة اجزاء من الآخر بل قد لا يلزم هذا الانطباق حتى ولو ساوت مطلق خمسة اجزاء من احد المثلثين خمسة اجزاء من المثلث الآخر

ملاحظة :— لا يخفى ان المقصود باجزاء المثلث اضلاعه الثلاثة وزواياه الثلاث . انظر كتاب الهندسة لهول واستيفنز صفحة ١٨ تحت عنوان (المقارنة بين مثلثين)

السؤال الرابع : بيّن بمثل انه اذا ساوى ضلعان وثلاث زوايا من مثلث ضلعين وثلاث زوايا من مثلث اخر (ضلع لضلع وزاوية لزاوية) فانه لا يلزم من ذلك كله ان ينطبق المثلثان . اى انهما قد ينطبقان وقد لا ينطبقان . والمقصود بالتمثيل طبعاً حالة عدم الانطباق فقط

التصوف [*]

لم يكن الاسلام بمسود صحيفة الدنيا للمسلمين . بل غايته الاخرة والحث على فعل كل ما يؤدي اليها ولكنه ايضاً امر بالتمتع في الدنيا . ففي قول القرآن الكريم « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة » وفي الحديث المنقول : « ليس خيركم من ترك الآخرة و تمسك بالدنيا ولا عمل عكس ذلك بل خيركم من اخذ من هذه ومن هذه . [1] » لاكبر برهان على ان القرآن والحديث يأمران بالتمتع بزينة الحياة الدنيا .

ولقد فهم المسلمون في صدر الاسلام تلك الروح التي ينطبق عليها الاسلام فاودعوا الزهد والفقر جانباً . فكم من الصحابة المبشرين بالجنة ملكوا القناطير المقنطرة من الذهب كالزبير بن العوام — وكان لتفاوته سماه النبي حواريا له — وكان ما خلع من الاملاك ما يساوي ٣٥،٠٠٠،٠٠٠ — ٥٠،٠٠٠،٠٠٠ درهم واطلق ما يساوي ٣٠،٠٠٠،٠٠٠ درهم [2]

اما بساطة الخلفاء الراشدين وتقشفهم الامران اللذان تخذهما البعض لاثبات عكس ذلك فلم يكونا بقصد الزهد عن الدنيا والحرمان من لذيذ عيشها ، بل لانهم من عامة القوم — والعرب معروفون بشظافة عيشهم وتقشفهم . وهم لم يربوا في بلاط الامراء حتى يكونوا مترفهين كمن وليهم

(*) للاستاذ ضياء الدين الخطيب المدرس بدار المعلمين

(١) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ص ٨٠ و ٣٧٥ (٢) Goldziher ١١١

من بني امية بل عاشوا على ما كانوا عليه سابقاً . ولكن الفتوحات وما سببت من الغنى والاختلاط بالامم المتمدنة اخذت تؤثر على عقلية العرب الساذجة فاخذوا يقلدون الروم والعجم في ماكلهم وملبسهم وخيلائهم

ولا تقوم عادة حركة الا وتجد لها ردّ فعل . فبينما كان تيار الافكار العامة يسير نحو المنافع المادية قام فريق يفتش على المثل الاعلى وهو العود الى عيشة التقشف . فتمثلت حركة ردّ هذا الفعل اولاً بالزهد الذي وجد في العاملين التاليين دافعاً له ومشجعاً

١ً اخذت تتأصل أصول الزهد منذ قتل الخليفة عثمان . فعز على بعض الاتقياء ان يروا الرعايا يتهجمون على الخليفة ليقتلوه فانزووا في بيوتهم غضبى لا يعترفون بتأليف الحكومة الجديدة

٢ً اخذ الزهد يظهر بعد الفتوحات بمدة وجيزة في البلاد المكتسحة كسورية ومصر والعراق حيث كان رهبان المسيحيين وزهادهم منتشرين في البراري والقفار مختلين في الكهوف والمغاور

فكان من هذين العاملين دافع قوي لاتقياء المسلمين في التزهد واول ما ظهر ذلك في اوائل دولة بني امية لما ظهر معضاد بن يزيد الذي انزوى مع جماعته في مقبرة لعبادة الله [١] ولم يكتف المسلمون بالاخذ عن المسيحية الزهد في التعبد بل قلدوهم في الصوم عن بعض المأكولات [٢] كاللحوم .

وليت الامر وقف عند هذا الحد من الزهد بل تعداه الى الصوفية

---

(١) Goldziher ١١٩ (٢) Goldziher ١٢٢

وكان له دافعان الى ذلك : الافلاطونية الحديثة والتأثير الهندي.

١ً كانت الافلاطونية الحديثة فلسفة تحوم حولها الافكار النظرية والالهية لتميل الى الزهد وكان فيها التنسك والتقشف ومن شأنها التطلع الى العالي واحترامه وتنتهي بالاستغراق في منبع التوحيد الالهي. وكانت هذه الافكار الافلاطونية تدخل في الاسلام عن طريق الترجمة

٢ً اما التأثير الهندي فدخل عن طريق الترجمة ايضاً لان العرب بعد فتوحاتهم القاصية وسعوا دائرة الترجمة وادخلوا في الآداب العربية شيئاً من الهندية (كيلهاوار وباداسيف) و (بُد). ولهذه الافكار الهندية تاثير محسوس في اشعار المعري الفلسفية والافكار الدينية والاجتماعية. ودليل ذلك قصة ابراهيم بن ادهم الذي عمل كبوذا اي انه بعد ان كان اميراً في قصره خرج فقيراً ليتسوّل. وكلمة درويش بحد ذاتها هي كلمة هندية. ولم يكن تاثيرهم فقط بكتبهم بل بدراويشهم ايضاً الذين قال عنهم الجاحظ : انهم سائحون لا مسلمون ولا مسيحيون بل رهبان الزنادقة(١)

وبهذين العاملين تحول الزهد الى تصوف. والتصوف مشتقة من الصوف نسبة لما كان الصوفيون يلبسون في اول نشوئهم. فانهم نظروا الى الحياة الدنيا فرأوها ملأى من الشرور والآلام وايقنوا ان هنالك عقاباً بعدها. فقالوا على المرء اذا اراد ان يتخلص من هذا العقاب ان يلتجئ الى طرق العبادة والتقشف والابتعاد عن الملذات. وقد عرف رويم

(١) Goldziher ١٣٢

بن احمد البغدادي التصوف فقال : التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار[١] وقال معروف الكرخي: التصوف هو الاخذ بالحقائق واليأس مما في ايدي الخلائق[٢]

فكانت هذه الروح موافقة للروح العربية ووجدت في عقلية العرب ارضاً خصبة لما اعتادوا عليه من شظف العيش ووحدة الصحراء وعوز العيشة الاجتماعية في المدن . وبالاجمال كانت روح التقشف مطابقة لما فطروا عليه

اثر كل ما ذكرناه آنفاً على عقلية زهاد المسلمين فنظروا الى هذا العالم نظرة صوفي ورأوا القوة الالهية تجلى لهم في كل شيء .. رأوا ان المخلوقات ما هي الا مرآة تنعكس عليها الحقيقة الالهية . فاستنتجوا ان الدنيا وهم وضلال واشكالها المحسوسة مظاهر للجوهر الالهي وان الحقيقة الالهية لا تدرك عن طريق العقل بل عن طريق الشعور والقلب او عن طريق كشف المخبأ . ولذا وجب عليهم ان يوجهوا افكارهم كما في البوذية نحو حالة الغيبوبة ومتى دخل الصوفي في الغيبوبة يخرج من طبيعة المرء — وهي الحبس المظلم — فتصعد نفسه درجة بعد اخرى حتى تصل الى الدرجة القصوى فتزول من امامه الحواجب وترفع الغشاوة عن بصره ويتجرد من شخصه فتفيض الاشعة السماوية في قلبه ويرى العزة الالهية وجمالها والمحبة الالهية حتى ينتهي بالفناء او باتحاد روحه بالعزة الالهية والموصول الى هذه الغاية او الهدف الأعلى — رؤية الله ، الاتصال ،

---

(١) القشيري ١٢٧ (٢) القشيري ١٢٧

الفناء في الجوهر الالهي — يجب عَلَى المرء ان يسلك طرقاً خاصة من الصلوات والتقوى والتمرُّن عَلَى طقوس خاصة كالذكر والاوراد والصوم والخلوة · بهذا اصبحت الصوفية طريقاً لمعرفة داخل الاشياء وعلم القلب وعلم الاسرار وعلم الحقائق حتى ان عدداً من الصوفيين ادعوا بانهم بلغوا الفناء بالله وازيل لهم الحجاب ورأوا الله وتكلموا معه فقالوا : قال الله كذا وكذا[١] وقد علل ذلك ابن خلدون تعليلاً نفسانياً فقال : الخلوة والذكر يتبعهما غالباً كشف حجاب الحس والاطلاع على عوالم من امر الله ليس لصاحب الحس ادراك شيء منها والروح من تلك العوالم وسبب هذا الكشف ان الروح اذا رجع عن الحس الظاهر الى الباطن ضعفت احوال الحس وقويت احوال الروح وغلب سلطانه وتجدد نشوءه · واعان على ذلك الذكر فانه الغذاء لتنمية الروح[٢]

والصوفية مؤسسة على الاعتقاد المسيحي القائل بان في الله طبيعتين[٣] فيقولون ان الوجود كله صادر عن صفة الوحدانية التي هي مظهر الاحدية وهما معاً مصدرا الذات الكريمة التي هي عين الوحدة لا غير · وقال آخرون منهم بالوحدة المطلقة يزعمون ان الوجود له قوى في تفاصيله بها كافة حقائق الموجودات وصورها وموادها والعناصر انما كانت بما فيها من القوى اي ان القوة الالهية هي التي انبثت في جميع الموجودات كلية وجزئية فجمعتها واحاطت بها من كل وجه[٤] حتى ان احدهم قال · من الشرك ان

(١) Field ص ٧ (٢) ابن خلدون ٤٦٩ (٣) Nicklson ص ٧٩
(٤) ابن خلدون ص ٤٧١

يقول الانسان انه يعرف الله لان هذه الجملة يفهم منها وجود اثنين العارف والمعروف · وهذه العقيدة منقولة عن الهندية حيث يقال في (Oltramare ، C. ، ١١٦) لا يمكن للعقل البشري ان يعرف براهما لان كل معرفة تتطلب ازدواج اي عارف ومعروف [١] فقال الصوفيون : ان الله احب نفسه قبل الخليقة بوحدانية مطلقة وبواسطة الحب اظهر نفسه لنفسه · ثم خلق على صورته مخلوقاً قلده صفاته واسماءه وهذا المخلوق هو آدم الذي ظهر الله به [٢] وعلى هذا نرى ان الولي يقول : «نحن النعوت التي نصف بها الله ووجودنا دليل على وجوده فالله ضروري لحياتنا وهو يحتاج الينا حتى يظهر لنفسه» [٣] وكذلك قال جلال الدين الرومي في رباعياته: كانت الارواح كلها واحدة سابقاً ومن الغلط ان يقال انا وانت فانا لست انا وانت لست انت ولا انا انت ولا انت انا فانا انا وانت ، وانت انا وانت [٤]

فكان لهذه العقيدة تاثير عظيم على مخيلة الصوفيين اي ان الواحد منهم كان اذا قرأ القرآن خيل اليه ان صوت الله خارج من فيه وان طبيعة الله لا تتميز عن غيرها من المخلوقات · ولم يكن القرآن بكاف لتهييج نفسيتهم بل اخذ شعراؤهم ينظمون الاشعار والقصائد في التغزل بالعزة الالهية والمحبة الالهية كابن الفارض وغيره ، حتى اذا ما تليت قصيدة او بعض ابيات وقعوا في حالة الغيبة · يروى ان سماع بيتين من قصيدة صوفية اوقعا ابراهيم الادهمي في حالة الغيبة مدة ٢٤ ساعة

---

(١) Goldziher ص ٣٥ (٢) Nicklson ص ٧٩ (٣) Nicklson ص ٩٣
(٤) Goldziher ص ١٢٢

وهذه الحالة تاتي كما ذكرنا عن مجاعة او عن خلوة او ذكر او سمع عبارات مهيجة كابيات الصوفيين و يتبعها غالباً كشف حجاب الحس والاطلاع على عوالم من امر الله ليس لصاحب الحس ادراك شيء منها فيدركون بهذا الكشف من حقائق الوجود ما لا يدركه سواهم و يدركون كثيراً من الواقعات

ولما عظم شأن الصوفيين الفوا عدة كتب كعلم البقاء وعلم الفناء وغير ذلك واصبحت الصوفية ليست فقط طريقة بل علماً مستقلاً بذاته. انتشرت الصوفية في البلدان الاسلامية منذ القرن الثاني للهجرة انتشاراً هائلاً . وكان من جملة من اشتهروا من الصوفيين الجنيد وهو المؤسس الحقيقي للصوفية ، فحسن البصري ، فابراهيم بن ادهم ، ففضيل بن اياد ، فبايزيد البسطامي ، فزون راهبة مصر ، فمنصور الحلاج ، فحبيب العجمي ، فالغزالي ، ففاطمة النيسابورية ، فعائشة ابنة جعفر الصادق وهكذا يتبين لنا ان تلك الطريقة لم يدخلها المتحمسون من الرجال فحسب بل والنساء المتحمسات ايضاً

وهكذا انتشر مذهبهم انتشاراً عظيماً ودبت الغيرة الدينية في قلوبهم كما كانت في اوائل عهد المسيحية . واندفعوا الى الصحارى والقفار في جميع البلاد الاسلامية يجمعون حولهم تلاميذهم و يؤسسون طرقاً دينية يطلقون عليها الاولياء المؤسسين لها . ومن الصوفية نشأت طرق متعددة وتشعبت كل واحدة الى عدة طرق اخرى . اما الطرق الرئيسية فهي :

الجيلانية ومؤسسها عبد القادر الجيلاني

الرفاعية ومؤسسها احمد الرفاعي

وهذه الحالة تاتي كما ذكرنا عن مجاعة او عن خلوة او ذكر او سمع عبارات مهيجة كآيات الصوفيين و يتبعها غالباً كشف حجاب الحس والاطلاع على عوالم من امر الله ليس لصاحب الحس ادراك شيء منها فيدركون بهذا الكشف من حقائق الوجود ما لا يدركه سواهم و يدركون كثيراً من الواقعات

ولما عظم شأن الصوفيين القواعدة كتب كعلم البقاء وعلم الفناء وغير ذلك واصبحت الصوفية ليست فقط طريقة بل علماً مستقلاً بذاته.

انتشرت الصوفية في البلدان الاسلامية منذ القرن الثاني للهجرة انتشاراً هائلاً . وكان من جملة من اشتهروا من الصوفيين الجنيد وهو المؤسس الحقيقي للصوفية ، فحسن البصري ، فابراهيم بن ادهم ، ففضيل بن اياد ، فبايزيد البسطامي ، فزون راهبة مصر ، فمنصور الحلاج ، فحبيب العجمي ، فالغزالي ، ففاطمة النيسابورية ، فعائشة ابنة جعفر الصادق وهكذا يتبين لنا ان تلك الطريقة لم يدخلها المتحمسون من الرجال فحسب بل والنساء المتحمسات ايضاً

وهكذا انتشر مذهبهم انتشاراً عظيماً ودبت الغيرة الدينية في قلوبهم كما كانت في اوائل عهد المسيحية . واندفعوا الى الصحارى والقفار في جميع البلاد الاسلامية يجمعون حولهم تلاميذهم و يؤسسون طرقاً دينية يطلقون عليها الاولياء المؤسسين لها . ومن الصوفية نشأت طرق متعددة وتشعبت كل واحدة الى عدة طرق اخرى . اما الطرق الرئيسية فهي :

الجيلانية ومؤسسها عبد القادر الجيلاني

الرفاعية ومؤسسها احمد الرفاعي

فوقها وهذه تكوَّنت في الدور الثالث من الزمن الثالث منه وهي تظهر في سوريا وشرقي الاردن على سطح الارض وتغطي مساحات عظيمة في مصر وسينا وبلاد العرب ثم الطبقة الكلسية العلوية وقد تشكلت هذه الطبقة في الدور الثالث في اواخر الزمن الثالث منه بعد الطبقة الرمليه وفوقها وانما وجدت تكون فوق الطبقة الرملية وتغطي مساحات عظيمة في سينا وبلاد العرب ومصر. اما رمال بيروت ويافا فقد تشكلت في الدور الرابع من فتائت صخور الجبال

وبما ان هذه الطبقات قد تشكلت تحت سطح البحر كان حوض البحر المتوسط اكبر جداً مما هو الان لان سوريا وفلسطين ومعظم بلاد العرب ومصر وقسماً عظيماً من اوربا كانت تحت سطح الماء. ويظن ان اتربة سوريا وفلسطين قد نقلتها مياه النيل من افريقيا ومياه الفرات ودجلة من اسيا الصغرى [يظن ان مياه الفرات والدجلة كانت تصب في البحر المتوسط لكن بعد ارتفاع سوريا فوق سطح الماء تحوَّلت الى خليج العجم] لان طبقات هذين القطرين تشكلت وارتفعت فوق سطح الماء في الدور الرابع في الزمن الاول منه

بما ان زمن تشكيل الفحم الحجري في الدور الثاني في الزمن الخامس منه لم يوجد فحم ناضج في سوريا وفلسطين لان طبقاتها تشكلت بعد هذا الدور كما ذكر سابقاً والفحم الذي في لبنان من نوع اللغنيت Lignite وهو ممزوج بالكبريت والحديد والرمال

تنبيه : ان الدور الاول هو اقدم الادوار كافة · وكل من الادوار الاربعة هذه مقسم الى ازمنة حسب ما هو مبين اعلاه

وقد انتهى كلٌّ من الثلاثة الادوار الاولى بانفجارات بركانية وزلازل وتغيرات جوية فشكل الدور الذي بعده · والان اشير الى الادوار التي تشكلت فيها طبقات سوريا وفلسطين وبعض الاقطار المجاورة مبتدئاً بطبقات الدور الاول · توجد مساحات كبيرة من الصخور التي تكوّنت في بدء الدور الاول (في الزمن الاول منه) في آسيا الصغرى وجنوبي سينا وغربي بلاد العرب وشرقي مصر وجنوبيها وقد تشكلت طبقات فوقها في اوائل الدور الثاني في سينا وبلاد العرب وبعض انحاء آسيا الصغرى وفي الجنوب الشرقي من البحر الميت · ثم تكوّنت طبقات فوق هذه في الدور الثالث والرابع في معظم الاماكن التي ذكرت سابقاً

واذا اخذنا ثلاثة مقاطع لطبقات الصخور الاول من البحر المتوسط حتى سهل البقاع ماراً في الباروك والثاني من البحر المتوسط من انطلياس (بلدة على الشاطئ على بعد ثلاث كيلومترات من بيروت شمالاً) حتى البقاع ماراً في جبل صنين والثالث من يافا حتى شرقي الاردن ماراً في جبال القدس نجد ان سوريا وفلسطين تتكوّنان من ثلاث طبقات وهي الطبقة الكلسية السفلية وهذه تشكلت في الدور الثالث من الزمن الثاني منه وهي ظاهرة على سطح الارض في اماكن كثيرة في سوريا اما في فلسطين فيظنّ انها تشكلت في الدور الثاني ولا تظهر على سطح الارض إلا في شرقي الاردن ثم الطبقة الرملية

براكين عديدة في معظم اقسامه واندفاق صخور نارية من باطن الارض. والينابيع الحارة التي توجد في طبريا ووادي اليرموق ووادي الزرقاء ومعان ووادي الحصى هي ينابيع باردة تجري تحت سطح الارض فتصادف الصخور النارية في باطن الارض التي لم تزل حرارتها عالية فتسخن وتظهر على سطح الارض ماءً حاراً

نهر الاردن

للانهار غرابة وخواص كما لافراد البشر ومن اغرب انهار ارضنا نهر الاردن فانه بقطع النظر عن كونه ممتازاً بعجائب وحوادث تاريخية اكسبته صبغة مقدسة ، له خواص طبيعية ليست لغيره من الانهار التي نعرفها لحد اليوم . فهذا النهر مثلاً عظيم الانحدار لانه يحدر ١١ قدماً في الميل وهو اعظم نهر معوّج في سيره لانه يجري مئتي ميل كي يقطع مسافة قدرها ستون ميلاً اما مجراه من بحيرة الحولة حتى البحر الميت فهو اعظم شق جيولوجي حدث في الكون ويبتدئ هذا الشق بالانخفاض عن سطح البحر المتوسط على بعد ميلين او ثلاثة من بحيرة الحولة حتى وادي العربة وطوله (١٦٠) ميلاً وينخفض قعر البحر الميت عن سطح البحر المتوسط نحو نصف ميل وهذه الخاصة ايضاً لا توجد في سواه . ولهذا النهر ثلاث مراحل الاولى هي بحيرة الحولة وماؤها عذب والثانية بحيرة طبريا وماؤها عذب ايضاً والثالثة البحر الميت حيث ينتهي وهذا ماؤه مالح ٢٦٠/٠ . وترتفع الارض عن يمينه وعن يساره ويكثر النبات

وادى نهر الاردن

مما يدعو الى الانتباه في درس طبقات فلسطين وادي نهر الاردن ويظهر انه عندما اخذ لبنان الشرقي والغربي وجبال القدس ونابلس والخليل في الارتفاع انشقّ سطح الارض مئات عديده من الاميال عَلَى خط يمتد من الشمال الى الجنوب عَلَى وجه التقريب ويمتد هذا الخط من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي عَلَى وجه الدقة ويمر بخليج العقبة ووادي العربة والبحر الميت ووادي نهر الاردن وبحيرة طبرية ومن المظنون انه ممتد من سهل البقاع ايضاً · ويرجح بعض الثقات من علماء طبقات الارض انه متصل بالشق العظيم في افريقيا الذي يمتد من الحبشة الى بحيرة نيسا وان البحر الاحمر هو الحلقة الواصلة بينهما · واعظم محل يلاحظ فيه انشقاق الطبقات هو جوار البحر الميت فانه هنا انخفضت الطبقات الغربية من البحر الميت (اي جبال القدس) نحو الفين او ثلاثة الاف قدماً اكثر من الطبقات الشرقية فلذلك نرى الطبقة الرملية التي تحت الطبقة الكلسية العلوية ظاهرة عَلَى الشاطئ الشرقي من البحر الميت وفي الوديان الشرقية التي تدخل وادي الاردن في حين ان الشاطئ الغربي لا تظهر فيه البتة حتى سطح البحر الميت الذي ينخفض ١٢٩٠ قدماً عن البحر المتوسط ومن المظنون انها تحت الطبقة الكلسية العلوية كما في الشاطئ الشرقي · والطبقة الظاهرة فى فلسطين هي الطبقة الكلسية العلوية فقط

وهذا الشق العظيم والشقوق الثانوية التي حدثت بعده سببت انفجار

فتجري فيها تحت سطح الارض وتوسع نطاقها سنة بعد سنة بواسطة الاتربة والحجارة التي تحملها فتحتك هذه في جدران الشقوق وتتلفها والطريقة الثانية الكيماوية هي ان الهواء فيه كميات عظيمة من ثاني اكسيد الكربون الحاصل من احتراق وفناء النبات والحيوان فعندما يقع المطر يتحد هذا الغاز بالماء ويتكوّن حامض الكربونيك وهذا الحامض يذيب الصخور الكلسية فيساعد في تشكيل الكهوف مع العامل الاول في الطبقات الكلسية فقط اما العامل الاول فيشكل كهوفاً في كل انواع طبقات الصخور واذا كان الماء عظيماً ولا سيما منحدراً (لانه كلما كان النهر منحدراً كلما اتلف مجراه) يكوّن كهفاً تحت سطح الارض واذا كان هذا الكهف قصيراً وظهر طرفاه اصبح جسراً مثل جسر الحجر في لبنان وهذا هو العجيبة الطبيعية الثانية بعد نهر الاردن في بلادنا

يقع هذا الجسر على منحدر جبل صنين الى الجهة الغربية منه في الطبقة الكلسية العلوية وقد شكله نبع اللبن الذي مصدره لا يعلو عنه كثيراً . ويبعد هذا الجسر عن بيروت ما بين ٢٠ و ٢٥ ميلاً في الجهة الشمالية الشرقية وارتفاعه من الجهة الامامية ٢٠٠ قدماً وفسحته اي البعد بين قاعدتيه ١٦٠ قدماً وعرضه ١٤٠ قدماً وسمك الصخور التي يتشكل منها سقفه ما بين ٣٠ و ٤٠ قدماً

وبما ان هذا الجسر يمرُّ بواد عميق فقد وصل القسم الشمالي بالجنوبي من صنين وصارت الناس تسير عليه وكثيراً ما يمرُّ عليه المسافرون دون ان يلاحظوه لكثرة ضخامته . اما موقعه فغير معروف عند الناس الى اليوم

على ضفتيه بالقرب من الماء لكنه مفقود على بعد عدة امتار من الماء لشدة الحر والجفاف ويوجد نحو ٢٧ منحدراً في مجراه ما بين طبريا والبحر الميت

ثم انه لا توجد مدينة على ضفتيه من طبريا حتى البحر الميت ومن المرجح ان مياهه لم يستعملها انسان للزراعة ولا لغيرها من بدء الزمن للاسباب الآتية اولاً لان مجراه منخفض عن الارض التي حوله ثانياً لشدة الحر فان درجة الحرارة تبلغ في الصيف ما بين ٤٠ و ٥٠ درجة سنتغراد ثالثاً لكثرة الحيوانات المفترسة ورابعاً لوجود ميكروب الملاريا وخامساً لهجوم سكان الشرق

وكما ان مجراه عجيب ينابيعه عجيبة ولهذا النهر ثلاثة ينابيع ومياهها كلها من الجهة الغربية من جبل الشيخ في سوريا

وقد تركت الوصف الجغرافي ولا سيما التاريخي للاستاذ المقدادي فانه سيبحث مطولاً في ذلك عندما يبحث في نهر الاردن وينابيعه

الجسور الطبيعية

العجيبة الثانية في بلادنا

توجد الجسور الطبيعية في اكثر انحاء المعمور على ان اهمها اثنان جسر الحجر في لبنان وجسرٌ آخر في فرجينيا

تكوّن هذه الجسور بواسطة الماء بطريقتين طبيعية وكيماوية فالطبيعية هي ان مياه بعض الينابيع والانهار تصادف شقوقاً في مجاريها

ولذلك لا يقصده منهم الا القليل · غير انه كان معروفاً اكثر في عصر الدولة الرومانية لانه على بعد بضع مئات من الامتار في الجهة الغربية والجنوبية توجد آثار قبور وهيكل وقرية رومانية

جسر الحجر في فرجينيا

يقطع هذا الجسر وادياً ضيقاً في محل وعر وصعب الوصول لان طريقه منحدرة وتبعد ١٢٠ ميلاً عن مدينة رشمند وقد تشكل هذا الجسر بذات الطريقة التي تشكل بها جسر الحجر في لبنان · اما ارتفاعه ٢١٠ أقدام وفسحته اي البعد بين قاعدتيه ٩٠ قدماً وعرضه ٦٠ قدماً وسمك الصخور التي يتشكل منها رأس قنطرته ٤٥ قدماً وقوائمه عامودية وسطحه مغطى بالتراب وتنمو عليه الشجر

والنبع الذي كوّنه ولم يزل يجري من تحته يدعى نهر الكريك Creek Rivers ويبعد نبعه عن الجسر ١٨٠ قدماً

يصل هذا الجسر ميلاً واحداً من الارض عَلى طرفي الوادي وتسير طريق عليه ولولاه لما قدروا ان يقطعوا الوادي بدون جسر اصطناعي وعلى ارتفاع ٣٠ قدماً من احدى قاعدتيه يوجد الحرفان G.W. وهذان اول حرفين من اسم جورج واشنطن · وقد حفرهما بيده في سن حداثته اثناء زيارته لهذا الجسر لانه كان من فرجينيا

رحلة في سوريا (*)

من القدس الى صفد فالنبطية: البيرة — رام الله — بيتين — سنجل — بير يعقوب نابلس — سبسطيه — سانور — جنين — المرج — الناصرة — جبل طابور — كفر كنا — حطين — طبريه — الطابغة — صفد — الحولة — منابع الاردن — بانياس — جبل الشيخ — حاصبيا — مرجعيون — قلعة الشقيف — النبطيه

من بيت المقدس — مدينة عمر التي ارجعها الى امها الجزيرة وافتداها بدماء عصبة ابنائها وسلمها الى الخلف امانة ثم مضت عليها خمسة قرون في ايدي العرب حتى اتاها من الغرب خليط من زمر الآربين . سلت بين الدماء . ونهض بعد ذلك بطل حطين صلاح الدنيا والدين محافظاً عَلَى الامانة الفاروقية المقدسة . . . الى « سوريا الحبيبة »

غادرتها في السيارة واشرفت عليها من « المشارف » فظهرت قببها وسورها ومعابدها الكثيرة . . . وما هي الا لحظة حتى غابت بلدة ابن الخطاب . واخذنا ننهب الطريق نهباً فمرت على جانبينا قرى قديمة

وعلى الكيلومتر السادس عشر شمال القدس قامت بلدتان: على اليمين البيرة التي سميت بهذا الاسم لكثرة آبارها (١) . وعلى اليسار بلدة الهجرة الاميركية ومصيف فلسطين واحد مراكز التبشير — رام الله

وكانت على يميننا بعد قليل بيتين Bethel (بيت الله) ومن هذه القرية

(*) للاستاذ درويش المقدادي مدرس التاريخ بدار المعلمين

(١) دليل بيدكر Baedeker سنة ١٩١٢

يروى انه نقل الحجر المعروف عند الانكليز باسم Stone of Scone ·
اذتذكر التقاليد ان يعقوب وضع رأسه على هذا الحجر في هذه البلدة ثم نقل
الى اسكتلندة وغنمه الانكليز منها وصاروا يضعونه تحت كرسي
تتويج الملك · ومررنا بقرب سنجل واسمها صليبي وكانت مقاطعة
(Casale or Manor) تابعة لفرسان مار يوحنا اهداها لهم روبرت
سان جيل Robert of Saint Giles [1] · وقفنا عند خان اللبن · وتابعنا
السير الى نابلس وقبل دخولها شاهدنا بناية فوق « بير يعقوب » حيث
اجتمع المسيح بالسامريه وقال : « الله روح والذين يسجدون له فبالروح
والحق يجب ان يسجدوا » [2]

نابلس : وبعد قطع ٦٦ كيلومتراً دخلنا نابلس ، بنت دمشق المخطوفة ،
الواقعة بين جبلين جبل الشيخ غانم (الطور) جنوباً وجبل السليمية
(عيبال) شمالاً · واسمها روماني معناه (المدينة الجديدة) وذكر ياقوت
في معجم البلدان انه « سئل شيخ من اهل المعرفه من اهل نابلس : لمَ سميت
بذلك ؟ فقال : انه كان ههنا واد فيه حية قد امتنعت فيه وكانت عظيمة
جداً وكانوا يسمونها بلغتهم (لُس) فاحتالوا عليها حتى قتلوها وانتزعوا
نابها وجاءوا بها فعلقوها على باب هذه المدينة · فقيل هذا ناب لُس اي
ناب الحية ثم كثر استعمالها حتى كتبوها متصلة نابلس هكذا ··· »

خرجنا من ناب لس ومررنا تحت سبسطية ذات الآثار التي ينقب

(١) The Historical Geography of the Holy Land by G.A. Smith. 22nd. Edition. P. 352.

(٢) انجيل يوحنا ٤ : ٢٤

عنها الاميركان وفيها مدرج روماني . قال عنها عبد الغني النابلسي في الرحلة القدسية »[1] : « ... بها قبر يحيى بن زكريا وقبر امه اليسع . وبها قبر شداد بن اوس ... وبعضهم يقول سبسطين ... ودخلنا الى مغارة ينزل اليها بدرج . وفي اسفلها طاقة صغيرة يقال ان قبر زخريا وابنه يحيى داخل تلك الطاقة فنكون زرنا رأس يحيى بدمشق وزرنا بدنه في سبسطيه »

المرج : وتذكرنا سانور وكيف كانت نساؤها ورجالها في اوائل القرن الماضي يدافعون عنها : نساؤها تحرق اللحف بالزيت ليتمكن الرجال من رؤية اعدائهم المحاصرين . وسرنا بين الجبال حتى خرجنا عند جنين التي تبعد عن القدس ١١١ كيلومتر وهي واقعة على طرف المرج الجنوبي الشرقي تنفجر في وسطها عين تسقى منها جنائن حولها . وصلنا مرج ابن عامر Esdraelon : ساحة فلسطين الحربية : مفتاحه من الشرق في بيسان ومن هنا دخله غزاة الشرق وبابه الجنوبي عند اللجون (مجدّو)[2] ومن هنا مرّ غزاة الجنوب والشمال من زمن طحوتميس الثالث سنة ١٥٠٠ ق . م . الى زمن اللنبي سنة ١٩١٨ وفي هذا المرج ظهرت مؤخراً ثمار التعاون

---

(١) الرحلة القدسيه : طبع مصر وجه ٩ ـ ١٠ وعبد الغني مؤلفها توفي سنة ١١٤٣ هـ . وهو رحالة ومتصوف اصله من جماعين

(٢) تقوم بعثة اميركية بالحفريات في هذا الموقع التاريخي ويرأس هذه البعثة الدكتور فشر الموفد من قبل جامعة شيكاغو وينفق على اعمال الحفر هنا كل سنة ثمانية الاف جنيه تبرع بها ركفلر ويرى الدكتور كرستنغ ان مجدو اعظم محل اثري في فلسطين لانها تمثل لنا الادوار التاريخية التي مرت بها فلسطين وتحفظ لنا ادوات خزفيه قديمة متنوعة

الاقتصادي في المستعمرات الجديدة فوق انقاض القرى البالية

الناصرة : واخيراً وقفت بنا السيارة على الكيلومتر ال ١٤٢ في الناصرة بلدة المسيح المدرجة بيوتها بعضها فوق بعض حول عين ويشرف عليها من الشمال دير عال اذا صعدته في ايام الربيع واتجهت جنوباً رأيت بحراً اخضر متموجاً في المرج.

جبل طابور : وارتفاعه ٥٦٢ متراً وذكر ياقوت الحموي في قاموسه الجغرافي [١] انه «يجتمع في كل عام سوق (علَى قمته) ثم بنى هناك الملك المعظم عيسى بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب قلعة حصينة وانفق عليها من الاموال الجمة واحكمها غاية الاحكام فلما كان في سنة ٦١٥ ه. وخرج الافرنج من وراء البحر طالبين ليت المقدس امر بخرابها حتى تركها كامس الدابر ...» وعلى هذا الجبل توجد انقاض الابنية والقلاع القديمة وعلى احجارها كتابات عربية قديمة من زمن الملك المعظم المذكور. وتسمى باسم هذا الجبل معركة طابور التي انتصر فيها نابليون وقائده كليبر علَى الاتراك سنة ١٧٩٩

وشهرة هذا الجبل ترجع الى ان المسيح لما كان عليه «تغيرت هيئته قدامهم (بطرس ويعقوب ويوحنا) واضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي ٦:٢٧

كالنور . واذا موسى وايليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه[١]»

حطين : ومن الناصرة سرنا في صعود حتى اعتلينا تلة ظهرت لنا منها صفورية[٢] ثم مررنا بالرينة وبعد ٩ كيلومترات من الناصرة وصلنا كفر كنا وهي قانا الجليل التي ذكرت في الانجيل حيث حوّل المسيح الماء الى خمر . تحولت طريقنا الى الشرق فكانت ترعان عَلَى يسارنا ثم لوبيه على يميننا . وكنا في ذلك السهل بين الناصرة وطبرية ننتظر ظهور قرن حطين : اخيراً ظهر قرن حطين حيث «اوقع صلاح الدين يوسف بن ايوب بالافرنج في منتصف ربيع الآخر سنة ٥٧٣ هـ (يوم السبت في ٤ او ٥ تموز سنة ١١٨٧) وقعة عظيمة منكرة ظفر فيها بملوك الافرنج ظفراً كان سبباً لافتتاحه بلاد الساحل وقتل فرعونهم ارباط[٣] صاحب الكرك والشوبك[٤]» هنا منذ ٧٣٨ سنة «اجتمع عليهم (الافرنج) العطش وحر الزمان وحر النار والدخان وحر القتال[٥]» وكان انخذال الافرنج عظيماً وقتل منهم عدد كبير حتى قال ابن الاثير «فكان من يرى القتلى لا يظن انهم اسروا واحداً ومن يرى الاسرى لا يظن انهم قتلوا احداً» وتعد هذه المعركة من المواقع الفاصلة في تاريخ سوريا ويحق للسوريين ان

---

(١) انجيل متى ١٧ : ٢—٣ راجع كتاباً جديداً عن تاريخ جبل تابور تاليف القس اسعد منصور من الناصرة (٢) قرية كبيرة مدرستها في قلعة على تلة وهي بلدة والدي مريم العذراء وفيها جدران كنيسة متهدمة للفرنسيسكان (٣) ارناط = Renaud (٤) ياقوت ٣ : ٢٩٩ (٥) الكامل لابن الاثير ١١ : ٢١٧—٢١٨

يتخذوا تاريخ حدوثها عيداً وطنياً كما يفعل الاميركان في نفس اليوم ٤ تموز كل سنة .

وقد اقام صلاح الدين قبة نصر على التلة[1] تذكاراً لانتصاره

طبريه : ابتدأ الانحدار الى طبريه فوصلناها بعد ان قطعنا ١٩٨ كيلومتراً . ومما جاء عنها في معجم البلدان لياقوت الحموي انها « فتحت على يد شُرَحبيل بن حسنه في سنة ١٣ هـ . صلحاً » وكان حول « البحيرة[2] قرى متصلة ونخيل فيها سفن كثيرة . وهي كثيرة الاسماك لا تطيب لغير اهلها ... » . « وفي لحف جبل طبرية قبر يقولون انه قبر ابي هريرة رضي الله عنه ... وفي ظاهر طبريا قبر يروون انه قبر سُكينة »

وهي « قصبة الاردن ... موضوعة بين الجبل وبحيرة فهي ضيقة كربة في الصيف وخمة وبئة ... ويقال : ان اهل طبرية شهرين يرقصون من كثرة البراغيث وشهرين يلوكون يعني البق فانه كثير عندهم . وشهرين يثاقفون يعني بايديهم العصي يطردون الزنابير عن طعومهم وحلاوتهم . وشهرين عراة يعني من شدة الحر . وشهرين يزمرون يعني يمصون قصب السكر . وشهرين يخوضون من كثرة الوحل في ارضهم ... » ويظهر مما ذكر ما كانت عليه شواطئ البحيرة من العمران وتقدم الزراعة وقد بلغ

---

(١) Encyclopaedia of Islam : Hattin دائرة معارف الاسلام

(٢) اكبر طول لبحيرة طبرية = ٢١ كيلومتراً . واكبر عرض = ١٢,٥ كيلومتراً . وتبلغ مساحتها ١٧٠ كيلومتراً مربعاً . وعمقها من ٤٢ الى ٤٨ متراً في الوسط . وانخفاضها عن سطح البحر = ٢٠٨ امتار

عدد المدن حولها تسعاً كان سكان كل منها نحو ١٥ الف شخص (١)

ولا يستغرب ان تكون مدن الجليل خصيبة ففيها تكثر الينابيع والمياه والخضراء وضرب فيها المثل القائل : « انه ليسهل عليك ان تزرع فيلقاً (عدداً كبيراً) من شجر الزيتون في الجليل من ان تربي ولدا في فلسطين » ومما يدلنا عَلَى كثرة الزيت في شمال فلسطين قديماً ان سكان البلاد كانوا يغلون الزيت ويسكبونه عَلَى الجنود الرومانية التي كانت تحاصر المدن اثناء الحرب (٢)

صفد : تركنا طبريا في الغور وسارت بنا السيارة عَلَى شاطئ البحيرة واعتلينا فوق الطابغة التي عثروا في كهف حولها عَلَى جمجمة بشرية قديمة جداً (٣) . ارتفعنا عن الغور واصبحت البحيرة في قعره الى ان انتهينا بصفد على الكيلومتر ٢٠٩١١ وارتفاعها عن سطح البحر = ٨٣٨ متراً وغربيها جبل جرمق اعلى جبل غرب شرق الاردن في فلسطين ارتفاعه ١١٩٩ متراً . وهي بلدة صلاح الدين الصفدي الذى عاش في اوائل القرن الثالث عشر وهو مؤلف عدة كتب في تراجم الرجال ومعاجم للاعلام اشهرها كتاب الوافي بالوفيات ذكر المؤلف فيه سيرة ١٤٠٠٠ شخص في ٣٠ مجلد والف كتاباً في سير مشاهير العميان وآخر عن مشاهير العور وهو صاحب القصيدة التي مطلعها :

---

(١) ج . آ . سميث وجه ٤٤٧ (٢) ج . آ . سميث وجة ٤١٩ (٣) راجع عدد نوفمبر سنة ١٩٢٥ من المقتطف وجه ٤١٧

الجَدُّ في الجِدِ والحرمان في الكسل
فانصبْ تُصب عن قريب غايةَ الأملِ

من صفد الى اسكندرونه على الاقدام :

كانت سياحتنا الى صفد بالسيارة ومنها عزمت مع السيدنقولا زيادة على ان نزور سوريا علَى الاقدام وكانت خطتنا ان نذهب من صفد الى بحيرة الحولة ومنابع الاردن ومنها الى جبل الشيخ ونعود الى حاصبيا وجديدة مرجعيون والنبطيه وصيدا ومن هنا الى جزين وبيت الدين ودير القمر وصوفر وبيروت وارز لبنان ومدن الساحل حتى اسكندرونه وان نعود من هنا راكبين الى انطاكيه والمدن الاربع الداخلية وغيرها مثل معرة النعمان وخان شيخون وبعلبك وزحلة والزبداني وبلودان · وقد اتبعنا معظم هذه الخطة فزرنا كل مدن سوريا ما عدا صور ومشينا ٢٥ يوماً كان منها خمسة ايام استراحة وكنا نمشي بمعدل تسع ساعات باليوم واقصى ما بلغناه في المشى ١٦ ساعة في يوم واحد · وصعدنا عدة جبال منها جبل الشيخ وجبل صنين وجبل الارز وزرنا قلاعاً ومواقع تاريخية كثيرة مثل قلعة النمرود وقلعة الشقيف وحصن الاكراد وبرج صافيتا وقلعة المرقب وقلعة صهيون الخ · وقضينا رحلتنا هذه في مدة ٣٩ يوماً وكلفتنا من النفقات ١٧ جنيه مصري · وسأذكر في مقالتي هذه شيئاً عن المرحلة الاولى من سياحتنا وهي :

من صفد الى الخالصة :

نزلنا من صفد في وادي فِرْعم واتينا سهل الخيط جنوبي غربي بحيرة الحولة مررنا ببعض القرى البدوية والمستعمرات اليهودية حتى وصلنا (بحيرة الخيط) او بحيرة الحولة : كانت هذه البحيره في زمن المسيح اكبر مما هي عليه الآن · وهي مثلثة الشكل وليست الا مجمع مياه الانهار الصغيره التي تشكل نهر الاردن وعمقها من ٣ الى ٥ امتار · وترتفع عن البحر مترين · تكثر حولها الطيور مثل البط والبجع ويصعب الاقتراب من شواطئها الشمالية لكثرة شجر البابير Papyrus في هذه الجهة (١)

اضطررنا ان لا نقيم عَلَى شاطئ البحيرة خوفاً من البعوض فمشينا وشاطئها الغربي في حمارة القيظ بعد الظهر في ٦ اغسطس مررنا بقرى بيوتها خيم او خصاص من البابير وانتهينا مساء ذلك اليوم في الخالصة احدى قرى الحدود : بلدة اراضيها خصيبة ومياهها غزيرة · وهي تقع شمال بحيرة الحولة وعلى الطريق بين صفد والمطلة وتذهب الطريق منها الى بانياس · حولها بساتين تين ورمان وفيها شجر حور ومن مزروعاتها الحبوب وتصدر حاصلاتها الى جديدة مرجعيون وحاصبيا والنبطية وصيدا وعلاقة اهلها مع الجديدة منها يستدينون ويشترون ويبلغ عدد سكانها حسب رواية مختارها نحو الالف وليس فيها مدرسة للحكومة · ويذهب منها بعض الاولاد للتعلم في الجديدة ومن مشايخها الكرام السادة كامل الحسين

(١) عن دليل بدكر طبعة سنة ١٩١٢ وجه ٢٥٨

اليوسف ومحمد عرب وكان من حسن حظنا ان اجتمعنا بالسيد كامل فساعدنا واظهر من الكرم العربي ما يجعلنا نشكره عليه وعلى غيرته الوطنية . ومعظم السكان على المذهب الشافعي ولا يأكلون لحم الارانب الا قليلاً .

هونين : تقع غربي الخالصة عَلَى رأس الجبل قلعة هونين التي كانت حلقة الاتصال بين قلعة بانياس والساحل . وذكرها عماد الدين الاصفهاني في كتابه المسجع فقال : « وورد الخبر عن هونين انها هانت ودنا امرها ودانت ...» وصار الافرنج يخابرون في امر التسليم بشرط بعد معرفة ما يحل بصور المحصورة . فقيل لهم : « انتم بين حصنين هما تبنين[1] وبانياس وماذا تصنعون اذا خاب رجاؤكم ؟ » اخيراً « تسلمت هونين بما فيها من عدة وذخيرة وقوة وميره » في زمن صلاح الدين .

خرجنا من الخالصة صباح اليوم الثاني راكبين الخيل كي نتمكن من اجتياز بعض المستنقعات والمياه في طريقنا فقطعنا جسراً من الحجر متصدعاً وهو جسر الغجر فوق نهر الحاصباني وصلنا اخيراً تل القاضي

منابع الاردن :— يستمد حوض الاردن معظم مياهه من جبل الشيخ . وهناك اربعة انهار صغيرة تتحد قبل ان تدخل بحيرة الحولة كلها تنبع من الجهة الشرقية الا نهر (البريغيث) الذي ينحدر من مرج العيون وهو اصغرها . والنهر الثاني هو الحاصباني الذي ينبع على بعد نصف ميل

(١) قرية كبيرة تقع شمال صفد على الطريق بينها وبين صور وقربها قلعتها

شمالي حاصبيا وهو اطول هذه الانهار الا ان مياهه اقل من مياه نهر اللدان او بانياس والثالث نهر اللدّان او نهر تل القاضي ويقع علَى الحدود بين سوريا وفلسطين تماماً وهو اقصرها واغزرها يتفجر من تل القاضي من بين الاحجار والاشجار المكتظة · وكمية مياهه تساوي ضعفي كمية مياه نهر بانياس او ثلاثة اضعاف كمية المياه من نهر الحاصباني · والنهر الرابع هو نهر بانياس الذي ينبع من اسفل جبل الشيخ

ارجعنا الخيل من تل القاضي وجلسنا علَى الماء ناكل غداءنا والجاموس عائم مسرور في الماء الجاري الكثير الذي قلما ينتفع منه عربان الغور · رجعنا الى المشي بعد ان ركبنا ظهور الخيل ساعتين · سرنا في السهل · قطعنا حدود البشر الاصطناعية بين الشقيقتين واتينا الجبل ومنه ظهرت لنا عن بعد شجرات قرب الحولة وشماليها اسمها « الشجرات العشر » وروي لنا انها ترجع الى زمن صحابة عشرة اتوا هذه البلاد راكبين الخيول فلما نزلوا عنها غرزوا اوتاداً في الارض نبتت منها هذه الاشجار فقلنا: اللهم ابعث لنا رجالاً مثل هؤلاء الصحابة يبعثون فينا الحياة والامل ويحولون نفوسنا الهامدة الى نفوس حية عاملة تنقل بايمانها الجبال وتحقق ما تراه من المستحيلات · وفي نهاية مسير ساعة من تل القاضي وصلنا بانياس :

بانياس : بلدة صغيرة غنية بمائها وتاريخها · فيها نقطة عسكرية ومتصلة بالتلفون مع القنيطرة وهي تابعة لدولة سوريا فيها مدرسة صغيرة يتقاضى معلمها (١٥) ليرة سورية نحو ٣ جنيهات مصرية وهو يعلم اللغة

الافرنسية للاولاد الصغار في الصفوف الابتدائية · نساء هذه القرية سافرات ويلبسن لبس النساء المتحضرات : دخلت احد بيوتها وتحدثت مع الرجال والنساء معاً من عائلة واحدة

وتقع بانياس على باب فلسطين الشمالي الشرقي وتبعد عن صفد نحو ٦٠ كيلومتراً · واهميتها التاريخية ترجع الى موقعها على الطريق التى تصل دمشق بالساحل وتوفر المياه فيها ·وقد حاول الصليبيون الاستيلاء على دمشق عن طريقها · واسمها القديم مشتق من كلمة پانيون Paneion وهذا الاسم اطلق على المنطقة والمغارة التي ينبع منها نهر بانياس ثم سميت البلدة باسم المنطقة وصارت تعرف باسم بانياس · ويوجد قرب البلدة مغارة كبيرة سقط قسم منها وكانت هذه المغارة مقدسة عند الاقدمين واعتقد الساميون ان هذه المغارة من مساكن بعل احد آلهتهم · ولما اتى اليونان اعتقدوا ايضاً بانها مركز مقدس لپان Pan آله الغابات وكانت حورياتهم السماوية تلجا اليها · وپان هي الكلمة الاصلية التي اشتق منها اسم المغارة والبلده والمنطقة · ويدلنا على ان هذه المغارة كانت مركز عبادة پان والحوريات كتابة يونانية محفورة على باب المغارة منها هاتان الكلمتان[١] پاني ونمفس

من هو پان ؟ هو ابن هرمس اليوناني او عطارد اللاتيني (Mercury) رسول الآلهة وكانت ام پان حورية من الاهات الاحراج · ولما ولد پان

---

(١) راجع كتاب جورج ادم سميث وجه : ٤٧٤

خصته الآلهة بان يكون اله الغابات والحقول والقطعان والرعيان · وجعل مسكنه في الكهوف يقضي ايامه في الجبال والاودية يتلهى بالصيد ويشترك مع حوريات الحقول في اقامة حلقات الرقص الا انه كان ذا قرنين وحافرين مما قلل من جماله · وكان من غواة الموسيقى وهو الذي اخترع مزمار الراعي · ثم ان پان عظم شأنه واصبح يمثل جميع آلهة الاغريق بل اصبح رمز المعتقدات الوثنية كلها لا سيما وان القدماء ظنوا ان معنى اسمه « الكل » · وعنه تروى قصة مسيحية وهي انه لما بلّغ الملائكة رعيان بيت ساحور [(١)] ان سيولد المسيح سمع صوت مرعب هائل من جزر الاغريق معلناً للبشر ان قد « مات پان العظيم » وان اسرة الآلهة الاولمبية قد خلعت عن عرشها وهامت آلهة الاقدمين على وجوهها مذعورة مدحورة واختفت في الاصقاع الباردة والظلمة الحالكة [(٢)]

قلنا ان اهمية بانياس تعود الى موقعها على الطريق بين الشام والساحل وقد حارب انطيوخوس الكبير البطالسة عندها فلما انتصر عليهم استولى على فلسطين سنة ١٩٨ ق·م· وفي سنة ٢٠ ق·م· منح هيرود الكبير كل المنطقة من قبل اغسطس واقام له هيرود هيكلاً من الرخام الناصع · ثم زينها بعد هيرود ابنه فيليب حتى عرفت البلدة باسم قيصرية فيليب Caesarea Philippi تمييزاً لها عن قيسارية فلسطين وكان اسمها

«١» قرية صغيرة قرب بيت لحم وشرقيها وعندها ظهر الملائكة لما ولد المسيح في بيت لحم

«٢» عن كتاب Gayley's Classic Myths

Caesarea Palaestinae · وقد زارها المسيح كما ورد في انجيل متى ١٦:١٣ وقد اطلق عليها هيرود اكريبا الثاني اسم نيرونياس Neronias [١]

« وقد فتحها المسلمون سنة ١٥ هـ· مع ما فتحوه في بلاد الشام على يد ابي عبيدة بن الجراح [٢] » · وفي زمن العرب كانت عاصمة الجولان حسب رواية اليعقوبي [٣] · وصارت سنة ١١٢٦ مركزاً للاسماعيلية ثم سلمها اتابك طُغتَكين الى بهرام [٤] · وكانت بانياس مع قلعتها الصُبيْبَة مركز قتال شديد بين الصليبيين واصحاب البلاد في ايام طغتكين وصلاح الدين · وكان الذي يستولي عليها وعلى قلعتها يصبح حاكم الغور وجواره

قلعة النمرود : وتقع شرقي بانياس قلعتها المعروفة اليوم باسم قلعة النمرود وتسمى ايضاً قلعة الصُبيْبَة · صعدناها من بانياس في مدة ساعة في في صعود وعر ولما وصلناها وتسلقنا سطح الابراج الخربة تمتعنا بمنظر جميل : بانياس في اسفل الجبل وبحيرة الحولة في السهل ويقابلنا في الغرب قلعة الشقيف وقلعة هونين وهاتان القلعتان مع قلعة النمرود كانت تحرس طريق الصليبيين من الساحل الى الداخل · اما القلعة ففيها اقبية للمواشي اليوم وقسم كبير منها متهدم وحولها ابراج مدورة صليبية · وعلى احد جدرانها كتابة عربية تشير الى الملك العادل ابي بكر ايوب ·

«١» يذكر وجه ٢٤٦ «٢» منجم العمران في معجم البلدان ٢: ١٢١ مصر

«٣» دائرة معارف الاسلام «٤» طغتكين هذا احد مماليك السلاجقة الذين كانوا اصحاب النفوذ في اواخر الدولة العباسية من سنة ٤٤٧هـ· الى سنة ٥٩٠ هـ· وكان طغتكين اتابكاً لتتش اول سلاجقة سوريا · وهو مؤسس الدولة البورية التي قضى عليها نور الدين زنكي

تركنا قلعة النمرود قبيل الغروب وتوجهنا شطر المشرق الى جبّاته الزيت وبين تلك الجبال الهادئة الحزينة سرنا والطبيعة اخذت تنام وعند اقترابنا من الضيعة ظهر لنا راعي صغير : « السلام عليكم » فرد السلام مستغرباً سيرنا في تلك الساعة وفي ثياب غريبة لم يألفها فسأل من اين ؟ اجبناه وتركناه · نزلنا وادياً وصعدنا جباته وكان دخولنا بعد الغروب عند رجوع البقر والفلاحون في بيوتهم يأكلون · اخذنا نردد المثل « ضيف المسا مالو عشا » وقفنا على الابواب، نسأل عن بيت شيخ البلدة اسعد افندي العاصي من اعيان تلك المنطقة واستأنسنا قليلاً لما تعرفنا بعز الدين افندي ابنه وعلمنا ان حضرة والده لم يكن في البلد وكذلك اخوه شاكر افندي العاصي وهذا درس الزراعة في كرينيون (فرنسا) وهو يعلم في مدرسة السليمية الزراعية قرب حماه · سررنا باجتماعنا بفتى نفهمه ويفهمنا ويشعر معنا فتى كريم من اسرة عربية كريمة · وفي المساء اجتمعنا مع رجال الضيعة في الديوان وتحدثنا قليلاً ثم سهرنا طويلاً لنتفق مع رجلين يذهبان معنا في اليوم التالي الى قمة جبل الشيخ : خوفونا من تلك الزيارة لجبل شاهق بعيد · قالوا تجدون الدروز وتجدون الدية و و و · · · فاجبناهم نريد السفر مهما كلفنا الامر · اتفقنا على ان ندفع لكل منهما ثمانية مجيديات ويحملان لنا الماء والأكل على حمار احدهما وان يوصلانا الى قصر عنتر — أعلى قمة في جبل الشيخ (حرمون) — ويذهبان معنا الى شبعة · قضي الامر · نمنا تعبين وما هي الا خمس ساعات من النوم حتى سمعناهما يصرخان : « يا افنديه يا افنديه · · · طلع النهار · · · » استعدنا

بالله من شياطين الكسل والنعاس والتعب ... هل انتم على استعداد ؟ نعم مثل الحديد هيا بنا الى قمة الجبل الى قصر عنتر. سار الدليلان امامنا وتبعهما الحمار ثم سرنا بين بيوت الضيعة فشاهدنا النساء فتخوفت احداهن وولولت الاخرى وقالت الثالثة «حرام عليكم لا تروحوش !» ثم ظهر المختار راكباً فرسه يدعو الفلاحين الى عدم الابتداء بالحصيد الا في الوقت المضروب وقال ينصحنا : «ياعمي الله يرضى عليكم شو بدكم بهالغلبة...» توكلنا على الله وتحركت اقدامنا وغادرنا الضيعة الساعة الرابعة والنصف صباح اليوم الثامن من اغسطس . مررنا بعد مسير ساعة ونصف بسهل البركة وكان مزروعاً حمصاً فكان فطورنا منه واشتركنا في الأكل مع فتاة كانت تحرق حمصاً اخضر

ايضاً في صعود : شربنا من عين ضعيفة اسمها عين وادي الكسح — نزول وصعود ثم نزول وصعود من واد الى آخر في طريق وعرة

كنا نمشي بين الاودية فلا نرى هدفنا الذي نسعى لوصوله وصادفنا في طريقنا آثار الثلوج ومواطن اختفائها في بطن الجبل بعد ذوبانها فتغور في اخاديد ضيقة بين الاودية وتظهر في ينابيع بانياس وشبعة وتل القاضي وغيرها . ولاحظنا تأثير سيل الثلوج على الصخور ونحتها اياها . ومن النباتات التي تكثر على قمم الجبال نوع من العليقة له ازهار مختلفة الالوان اشواكه متجمعة يظهر لك كأنه قطعة من السجاد او بقجة من المخمل المطرز بالالوان . اما الحيوانات فلم نشاهد لها اثراً ولم نلق الدببة منها . ولم يتعرض لنا احد

انحرفنا نحو الشرق وخرجنا من بين الجبال حتى وصلنا السفوح الشرقية لجبل الشيخ حيث اشرفنا على سهول حوران وغوطة دمشق وشرقيها معاقل سوريا جبال بني معروف · جلسنا قرب عين (معنون) نتأمل في السهل والجبل ونردد قول عمرو بن كلثوم :

اذا ما الملك سام الناس خسفاً ابينا ان نقر الذل فينا

اتى الى العين الرعاة يستقون تخوفهم الدليل وقال لهم : « هاتوا غنمة اذبحوها للحاكم والا يقتلكم ! » دب الرعب في صغار الرعيان واكتفينا منهم بقدح من الحليب وعرّفناهم بحالنا فذهب خوفهم وتشاكينا وتألمنا · تركنا العين وبعد ان ابتعدنا عنها مسافة نحو سبعة كيلومترات جبلية ظهرت لنا ضالتنا فقلنا : « القصر ! القصر ! » فرحنا وذهبت اتعابنا رأينا باعيننا قمة الجبل كنا نمشي ولا نرى الآن اصبحنا نمشي ونرى : امرعنا وتسابقنا عدواً على سفوح الجبل ثم ابتدأ صعود طويل من قمة الى اخرى حتى وصلنا « قصر عنتر » الساعة الثانية ونصف بعد الظهر ·

تعلو قمة جبل الشيخ عن سطح البحر ٢٧٦٠ متراً وتعرف هذه القمة باسم قصر عنتر ويوجد عليها اثار هيكل قديم · وترى من القمة هذه المواقع :

جنوباً : جبال عجلون وبحيرة الحولة وبحيرة طبرية وجبال الجليل الى الكرمل

غرباً : لبنان من جبل ريحان الى جبل صنين وشمالي لبنان جبل مكمل (من جبال الارز) وسهل البقاع ووادي اللطاني وقلعة الشقيف

شمالاً : البقاع ولبنان الشرقي

شرقاً : غوطة دمشق وسهل حوران وجبال اللجا وجبل الدروز

ويمكنا اعتبار جبل الشيخ حلقة الاتصال بين سوريا وفلسطين بل العروة الوثقى التي لا انفصام لها فهو ممتد من الشمال الشرقي الى الجنوبي الغربي من غربي دمشق الى شرقي تل القاضي لمسافة ثلاثين كيلومتراً فهو الذي يروي فلسطين بمياه بانياس وتل القاضي والحاصباني ويلطف مناخ شمال فلسطين واذا صعدته تشرف على قسم كبير من سوريا فهو حاميها وموحدها . ولبنان اخوه فصلهما البقاع . ويتصل بلبنان الشرقي شماليه الذي يمد دمشق بمياه نهر برده

وتسقط عليه الثلوج بكميات وافرة ويبقى بعضها الى الصيف انما لم نجد له اثراً وقيل لنا يبقى احياناً في كهوف مختفيه . وتزرع سفوحه الغربية الواطئة كرماً وتنبت على اعاليه اشجار السنديان وبعد هذه تأتي نباتات المنطقة الباردة فهو مختلف النباتات من اسفله الى اعلاه . وتعيش في اعاليه بعض الدببة

واشتهر جبل الشيخ عند الاقدمين وسماه الاشوريون (سانيرو) ومعناه « علم » وكان من الجبال المقدسة عند اليونان والرومان كما تدل آثاره وورد ذكره في التوراة حيث يقول : « تابور وحرمون باسمك يهتفان [١] » و « مثل ندى حرمون » [٢] « حرمون من خدور الاسود » [٣]

«١» مزامير ٨٩ : ١٢ «٢» مزامير ١٣٣ : ٣ «٣» نشيد الانشاد ٤ : ٨

وكان ثلجه يستعمل للتبريد عند القدماء وفي هذه الايام ايضاً ·

زيارة قصر عنتر :— تكون في اشهر الصيف يصعد اليه عادة من حاصبيا في مدة سبع ساعات والرجوع اليها في مدة خمس ساعات ويفضل النوم على قمته لرؤية البلاد عند شروق الشمس وعلى المسافر ان يصحب معه دليلاً واكلاً كثيراً مغذياً وماء وحرامات وناظور وآلة فوتوغرافية وآلة لمقياس الارتفاعات ان امكن ووقود وخيمة الخ · وعلى الماشي ان يكون خفيف الثياب لابساً لباس الكشافة ومعه عصا واحذية مستعملة (غير جديدة) قوية لا مسامير فيها · وتكون السياحة مفيدة ومسرة اذا كانت مؤلفة من عدة افراد

مكثنا على قمة الجبل نحو ساعة اكلنا بجشع وشربنا ماء كثيراً وكان الريح شديداً بارداً فالتففنا بحراماتنا : عدنا الى المشي ووجهتنا شبعة هبوط قوي اوصلنا الى وادي سحيق اسمه وادي جنعم · سرنا فيه ليلاً طريقنا كلها حصى · طالت الطريق سئمنا لا سيما وان الدليل كان يجهل الطريق وكان الدليل الآخر في المؤخرة راكباً الحمار فوق الامتعة فطلب من احدنا الركوب فرفضنا وبقيت اقدامنا تلاطم الصخور والحصى والاحجار حتى ظهرت النيران فاستبشرنا ثم سمعنا طلقات البنادق وصياح المزارعين بين اشجار الحور وكروم العنب · آه كم رددنا كلمة شبعة وكم فكرنا بها !

وفي نهاية ذلك اليوم بعد ان مشينا (١٤) ساعة وصلنا شبعة الساعة الثامنة ونصف م . ا¬ وقد اضنانا التعب والعطش والنعاس والغربة مع

شيء من الخطر · الى بيت المختار ولم يكن غيره : دخلنا وجلسنا بين القوم نتجاذب اطراف الحديث فقال قائلهم : « من اسمك يا افندي ؟ » فاجبت « الداعي درويش » وسأل الرفيق فاجابه ايضاً « الداعي نقولا » فاسرّ احدهم للآخر « عرفتهم » نعم نحن الآن في شبعة من اعمال دولة لبنان الكبير في منطقة المذاهب والاديان وشبعة بلدة غنية باشجارها وغزارة مياهها قائمة في وادي ضيق وعلى سفح الجبل يسقط بها الثلج في الشتاء غادرناها في اليوم التالي الى حاصبيا ومررنا بطريقنا الى ضيعة الهبّاريّة حيث سألتنا احدى العجائز « راجعين من امريكا يا خالتي ؟ » فاجابتها اخرى « هادول بياعين حجمه[٢] » وصرخت ثالثة عن بعد وقالت لنا « بتصوروا يا خواجه ؟ » هذه القاب كسبناها من الهبارية واما شبعة فقد ظن فلاحوها اننا « عسكر راجعين لبلادهم » او « اصحاب تذاكر » على رأي اهل النبطيه

اصبحنا الآن في وادي التّيم حيث يكثر الدروز لان درزي[١] موسس المذهب اقام في هذه المنطقة · وبعد خمس ساعات من خروجنا من شبعة وصلنا

حاصبيا : تقع في القسم الادنى من غرب جبل الشيخ ، في جنوب البقاع ينبع من قربها نهر الحاصباني احد روافد نهر الاردن حولها اشجار الزيتون وكروم العنب · ولا اعرف مدينة غيرها في سوريا توجد

---

(١) دائرة معارف الاسلام : Darazi (٢) يعني باعة عقاقير طبية

فيها مناجم لاستخراج الحمّر او القار Bitumen . وهي مدينة عامرة فيها قصر لبني شهاب المسلمين وسكانها خليط من الدروز والنصاري وبعض المسلمين وهنا ظن بعضهم اننا من مطلة فلسطين ومع الاسف لم نقم فيها طويلاً لنرى منبع النهر الحاصباني الذي يبعد عنها شمالاً نصف ساعة . غادرناها الى جديدة مرجعيون وشاهدنا على طريقنا هذه القرى : إبل السقي وسكانها مسيحيون والخيام وسكانها متاولة والقليعة وسكانها موارنه

اذا اتخذنا جديدة مرجعيون نقطة لدائرة قطرها عشرون كيلومتراً نؤلف منطقة نسميها بابل سوريا من حيث كثرة المذاهب الدينية والاجناس فنجد الخالصة من فلسطين سكانها سنيون والمطلة شماليها يهود وشبعة شرق شمال جديدة خليط من المسلمين والمسيحيين والطيبة جنوب الجديده متاولة والجديدة نفسها موارنة وارثوذكس وبروتستنت ولاتين وحاصيا مع جوارها دروز ونصارى ومسلمون . فهذه منطقة الامتزاج فمتى وكيف يمكننا ان نؤلف بين هذه العناصر المختلفة اذا اتبعنا مبدأ الطائفية ؟ اضف الى ذلك عوامل اخرى اجنبية تسعى لتفرقتنا

جديدة مرجعيون : بلدة جميلة على تلة يزيد في جمالها بيوتها المسقوفة بالقرميد الاحمر سكانها نحو خمسة الاف . بعض اراضيها شمالي الحولة سكانها من الروم الارثوذكس والموارنة واللاتين والبروتستنت وعدد قليل من السنيين . وهي مركز حكومة تتبعها حاصيا وإبل السقي والخيام وشبعه

ودير مماس والطيبة والقليعة.

قلعة الشقيف (Belfort) : مشينا على طريق معبدة تمر بوادي نهر الليطاني على جسر الخردلة ومن هنا صعدنا جبلاً شديد الانحدار من الجهة الشرقية يشرف على نهر الليطاني وعلى قمته القلعة ويحدها من الشرق هوة سحيقة ترتفع عنها القلعة ٤٦٠ متراً ومن الصعب الوصول اليها من الشرق ويحيطها من الشمال والغرب وقسم من الجنوب خندق محفور معظمه في الصخر وروي لنا ان القلعة متصلة بواسطة سرداب بنهر الليطاني الذى ينخفض عنها ٤٦٠ متراً . وترجع اهمية هذه القلعة الى وقوعها على الطريق من صيدا وصور الى بانياس فجدل شمس فدمشق . وترى منها قلعة النمرود . نزلنا من القلعة ومررنا بضيعة ارنون (متاولة) وكفر تبنيت ومنها الى

النبطية : الطريق بينها وبين الجديدة معبدة تسير فيها السيارات في مدة ساعة فيها ابنية جديدة جميلة من ثمرة المهاجرة الى اميركا وقد سحب اليها الماء بالقساطل من نهر الزهراني سكانها اربعة لاف وهي مديرية تتبع صيدا . واكثر سكانها من المتاولة[1] وبعض النصارى وهي من مدن جبل عامل المهمة . غادرناها في اليوم الذي خرجنا فيه من الجديدة فوصلنا صيدا مساء وقطعنا المسافة من الجديدة الى صيدا فى مدة عشر ساعات

«١» جمع متوالي وهم من الشيعة الذين تولوا علياً واهل بيته ويقولون ان علياً احق بالخلافة بعد النبي من غيره

وبذلك انتهت مرحلتنا الاولى من السياحة. وكنا نتمنى لو كان عددنا اكثر من اثنين في هذه السياحة وانني ادعو المعلمين للاهتمام بمعرفة بلادنا سوريا وليس ذلك بعسير ويمكن للبعض ان يكتفي بسياحة الى جبل الشيخ وما حوله في عطلة الصيف : نريد ان يعرف الرجل الوطني اخاه ويشعر معه ويفهمه ويستنهضه حتى نكون كتلة واحدة متجانسة . ولنذكر ان السياحة في سوريا ولبنان لا تكلف كثيراً في هذه الايام

رسالة في اللغة العربية [1]

ماهية اللغة ونشأتها

اكثر علماء اللغات على ان العربية فرع لغةٍ وجدت في آسيا الغربية وامتدت قبل الاسلام من جزيرة العرب الى مشارف الشام والعراق وما بين النهرين وجزيرة سينا وفي صحراء مصر الشرقية . وقد كان من مواليد هذه اللغة الاصلية المجهولة لدينا الان ثلاث لغات كبرى ، وهي العربية والآرامية والعبرانية . اما العربية فقد تفرع عنها السبئية والمعينية والحميرية والحبشية ، والآرامية تفرع عنها الكلدانية والسريانية ، والعبرانية تفرع عنها الكنعانية والفينيقية والسامرية . وقد عفا رسم معظم هذه اللغات إما تماماً كالفينيقية او قلّ استعمالها كالسريانية . غير

«١» للاستاذ حبيب خوري مدرس اللغة العربية بدار المعلمين

ان العربية دامت في بقاءها وقد حالفها النصر اينما ولت وجهها ، فصرعت بقوة حيويتها كل لغة احتكت بها ، ولم تزل ثابتة منذ اربعة الاف من السنين تقابل غِيَرَ الدهر بما أُوتيتْ من محاسنة ورحابة صدر ، وذلك بفضل اشتقاقها الفذّ وتنوع مجازها العجيب وهيمنة كتابها الكريم ·

اللغة المضرية او لغة الجاهلية الثانية

وليس بخافٍ ان تغلغل العربية في هذا القدم انما يعلل عنه بقول الذين يذهبون الى ان حمورابي كان عربياً ، وهو قول يُرتاح الى رجحانه من عدة وجوه · ولا حاجة بنا الى القول إن العربية القديمة من حميرية ومعينية وحمورابية لم تكن كلغة الجاهلية الثانية التي وُجد فيها امرؤ القيس والاعشى وقس بن ساعده واكثم، او كلغة القرءان الذي جاء بعد الجاهلية الثانية بما يربو على مئة وخمسين سنة · اما العربية التي ندرس الآن قواعدها وآدابها انما هي اللغة المضرية اولغة الحجاز الذي استقلّ عن اليمن على يد كليب في يوم الخزاز (او خزازي)فاستقلت اللغة العربية طبعاً واحلها استقلالها هذا محلّ اللغة الحميرية · واذن فقد وُلدتْ هذه اللغة في اول القرن الخامس ب · م · وعمرها لا يعدو الفاً وخمسمئة سنة · وعلى ذكر الجاهلية الثانية لا بدّ لنا من الاشاره الى ان هناك جاهليةً عربيةً اولى لا نعرف عنها الا النزر اليسير لتغلغلها في القدم وقلة ما وصل الينا من اخبارها · اذ ليس مما يُعقل ان تنشأ لغةٌ راقية في اساليبها وافكارها فجأةً في مدة تتراوح بين قرن وقرنين · ومما يدعم هذا القول اشاراتٌ

وردت في اقوال رجال الجاهلية المشهورة منها: قول امرئ القيس «نبكي الديارَ كما بكى ابن خِذامِ» وابن خذام لا ذكر له البتة في كتابات الجاهلية الثانية» وقول عنترة «هل غادر الشعراء من مُتردَّم» ومعناه ان الاوائل اجادوا قول الشعر حتى انهم لم يغادروا شيئاً يحتاج الى الاصلاح. وقول زهير:

ما أرانا نقول الاّ مُعاراً او مُعاداً من لفظنا مكرورا

ومعناه واضح

اختلاف اللهجات ومراتب تهذيبها

انقسمت الامة العربية اخيراً الى قسمين عظيمين وهما القحطانية في اليمن والعدنانية في الحجاز وتفرع عن هذين اقوام وقبائل لها لهجات مختلفة دع عنك أن استقلال كل قبيلة عن الاخرى، وطرق المعيشة، واختلاف الاساليب في وضع الكلم، ودلالتها، واستمرار الرحيل من بقعة الى اخرى جعل في كل قبيلة خصائص لغوية يسميها علماء اللغة «بلهجة القبيلة». ووجوه الاختلاف قائمة في الابدال (مثل با اسمك في ما اسمك) واوجه الاعراب والبناء، والتصحيح والإعلال مثل رَضَى وبَقَى في رَضيَ وبَقيَ والعلاء في العلا) والاتمام والنقص (مثل مِلْبيت في من البيت) والادغام والفك، والترادُف (وهكذا كثيرٌ في اللغة المروية لجمعها من قبائل شتى). اما دواعي توحد هذه اللغات فيعود معظمها ال تحاكّ عرب القبائل في مشاعر الحج، والاسواق» والمجرتين القحطانية والاسماعيلية

وقد كان مثلُ قريش من هذه الوجهة مثلَ نحلة تجني اشهى العسل من اشهى الازهار ثم كمّل القرآن الكريم طور هذا التكوين او التهذيب افضل تكميل ·

خطورة شأن العربية

تتبدّى لنا اهمية هذه اللغة الشريفة في امرين خطيرين احدهما المحافظة على الاصول السامية القديمة ودوام مشابهتها للغة الاصلية (الام) في حين أن اخواتها الساميات فقدن معظم تلك الاصول واتّسعت الشقة بينها وبين أمها ، ومن تلك الاصول الاعراب وعلاماته والتنوين وبعض مزيدات الافعال · وثانيهما نشاطها وقوتها فانها كانت تسود حيثما توجهت فقد صرعت اليونانية في فلسطين وسوريا ، والسريانية والفارسية في العراق وفارس ، والقبطية في مصر ، وتغلبت على لغات اخرى ، ولا تزال تنتشر في بقاع من الاقاليم الايرانية والهندية مما لم يدُر بخلدنا حتى انها اصبحت كما قال احد ادباء الفرنجة من اشد اللغات شيوعاً ، وأصبح المتكلمون بها يبلغون الخمسين مليوناً وصارت لغةَ الدين لثلاثمئة مليون من المسلمين ولذا فلا خوفٌ عليها ولا هي تحزن وسيكون لها عمر طويل ، بل هي اللغة الخالدة او اللغة التي هي احق اللغات بالحياة والبقاء كما قال احد علماء الاميركان

ميزاتها وخصائصها

ان الواقف على حقائق هذه اللغة ودقائقها لا يسعه الاّ ان يرى فيها

اموراً تميزها عن غيرها من اللغات . ومن تلك الامور ما ياتي :—

(١) غناها اللفظي . فالوضع والدلالة واسعان جداً بحيث ترى للمعنى الواحد واجزائه الفاظاً خاصة مفصلة ، وللفظ الواحد معاني عديدة . فمن امثلة الوضع المبينة لما نحن فيه أن لكل ساعة من ساعات النهار اسماً خاصاً فالساعة الاولى الذرور ثم البزوغ ثم الضحى ثم الغزالة ثم الهاجرة ثم الزوال ثم العصر ثم الاصيل ثم الحدور ثم الغروب . ومن امثلة الوضع الواسع ايضاً تفرُّع المعنى الواحد كتفرُّع فعل النظر الى رمقَ ولمحَ وحدجَ وشفَّ وتوضح ورنا واستكشف واستشفَّ . واذا اردت الوقوف على مئات بل الوف من هذه الامثلة في هذه اللغة المدققة فنظرةٌ قليلة الى كتب فقه اللغة تنيلك رغيبتك . هناك تجد ان للنور مثلاً ٢١ اسماً وللظلام ٥٢ وللخمر ١٠٠ وللاسد ٣٥٠ وقس على ذلك المئات بل الالوف من المسميات التي لكل منها اسماء كثيرة.

(٢) تصويرها لشعائر النفس والخيال العالي واعمال العواطف تصويراً لا تجاريها فيه لغة ، ولعلها اغنى لغات العالم من هذا القبيل

(٣) إعرابها. للاعراب محلٌ عالٍ في اللغات لانه يُعين على الفهم ومنع الالتباس. ومن اللغات القديمة المعربة اليونانيه واللاتينية ، ولسنا نجد بين مئات اللغات الحية من اصلية وفرعية ما هو معربٌ سوى العربية وابنتها الحبشية والالمانية . فاذا ما عددنا الاعراب من اخص ميزات العربية لم نكن من المسرفين في القول او من الملقين الكلام على عواهنه.

(٤) الاشتقاق والقياس. ولما كانت هذه النقطة سوف يتناولها البحث

تحت عنوان آخر فيما ياتي من القول الفت نظر القارئ اليه

سر العربية او عوامل نموّها

غيرُ خافٍ ان عوامل اللغة كثيرة . فالوضع والدلالة الواسعان ، والاشتقاق والتصريف المطردان، والمجاز والاستعارة والكناية، والتعريب، والقلب والابدال والنحت من حراس اللغة واكبر دواعي بقائها . غير ان عاملَ العوامل بل سرّ العربية واعجوبتها الفذّة هما الاشتقاق والقياس . ان في كل لغة اموراً جوهرية واموراً عرضية . فالجوهرية تبقى من جيل الى جيل غير متغيرة انما هي تخضع لناموس النشوء والارتقاء من حيث النموّ والتفرّع . واما العرضية فهي اذا كانت اليوم لا تكون غداً ، بل هي اشبه شيء بورق الشجرة او بعض غصونها او زوائدها . فاذا زيدت لفظةٌ او هيئة تركيبية على اللغة او نقصت لفظة او هيئة تركيبية منها واحتذينا هذا المثال في استعارة او كناية ، في قلب او ابدال ، في اعراب او بناء لا ينجم عن هذا ضرورةً غنى او فقر للغة ، بناء او هدم ، على حين اننا لو اهملنا الاشتقاق لتداعى بناء هذه اللغة المتين العالي . ومن اشد المؤسفات ان موقفنا ازاء «سرّ اللغة» هذا لا يزال موقف جبن وجمود سيما وقد اتسعت اغراض اللغة اليوم وتدفق علينا سيل الحضارة الغربية بحاجياتها وكمالاتها واحتكت امة هذه اللغة بالاعاجم ولغاتهم احتكاكاً لم يدُر بخلد السلف الصالح . ومن عجيب امر السلف والخلف هذين ان الاول كان اشد اقداماً على الاشتقاق والقياس من الثاني

(البقية تأتي)

عمرو بن معديكرب

(٥٩٠م — ٦٤٣م)

امتاز عصر صدر الاسلام بقيام رجال عظام برّزوا في كل غاية ومطلب كما امتاز عصر اليصابات وعصر نابليون العظيم بانجاب ابطال من اعظم ما رأت الامة الانكليزية والفرنسية . فقد قام فيه خلفاء كانوا المثل الاعلى للعدل وعلو الهمة ، وساسة محنكون ، وفرسان مدربون كوّنوا نواة المملكة العربية وشادوا صرح الاسلام بنيّر افكارهم وماضي شفارهم . وانما نودّ في هذا الفصل ان نذكر طرفاً من سيرة احد اولئك العظام الا وهو عمرو بن معديكرب الزبيدي

نسبه

هو عمرو بن معديكرب بن زُبيد فارس اليمن واحد شعرائها وكنيته ابو ثور . كان في بادئ الأمر خامل الذكر يكره ابوه ان ينتسب اليه كما كان يكره شداد ان يلحق عنترة بنسبه ، وذلك لانه كان نهماً اكولاً على ضخم في جثته ولذا كان يدعى مائق زبيد [1] . ولم يشتهر امره الا لما اغارت خثعم عَلَى زبيد ، وكان عمرو قد طلب من اخته ان تُطعمه حتى يشبع كأن مسألة شبعه كانت امراً هاماً ، فاخبرت هذه اباها عما طلب فاجابها ان سلي هذا المائق ماذا يشبعه فقال: ثلاثة آصع ذرة وعنز رباعية فصنع

«١» مائق : احمق

له ذلك وذُبح العنز وهيّ. له الطعام، فجلس عليه وأكله كله. فاتتهم خثعم في الصباح فتبلد عمرو ولم يتحرك الى ان رأى لواء ابيه قد زال فقام حينذاك وتاقى اباه، وقد انهزم قومه، وطلب منه ان يترك له زاملته فابى فقال له بنو زبيد: اعطه اياها: فان قتل كفيت مؤونته، وان ظهر فذلك خير: فألقى ابوه اليه سلاحه ثم شدّ على خثعم بنفسه وقهرهم: فاشتهر من ذلك الحين بفارس زبيد. هذه هي قصة اشتهار عمرو بن معديكرب وهي تكاد تكون نفس قصة اشتهار عنترة بن شداد مما يدعونا الى الريبة في صحة احداها اذ لا يعقل ان تتشابه واقعتان في كل الظروف كما هو حاصل في هاتين الروايتين تقريباً

اسلامه

ولما اشهر محمد دعوته وبلغ عمراً خبره انطلق مع وفد من مذحج اليه فاسلم. والذي نرجحه انه لم يكن صادق الاسلام بل كان غرضه منه غرض الكثيرين من العرب الذين اسلموا لاحباً بالاسلام بل طمعاً بالكسب والسلب لا سيما رجل كعمرو بن معديكرب رجل سيف وحرب والذي يزيد اعتقادنا بل يثبته هو انه كان من اول المرتدين لما حدثت الرّدة، فوجه ابو بكر اليه خالد بن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد فاقتتلوا واياه فغلب عمرو وذهبت صمصامته [1] وذلك ان اخته ريحانة بنت معديكرب سبيت في هذه الموقعة فافتداها بها. ولما رأى عمرو ان لا

(١) الصمصامة: السيف الذي لا ينثني

قيل له بمحاربة المسلمين دخل على المهاجر (احد قواد جيش المسلمين في حروب الردة) بغير امان فاوثقه هذا وبعث به الى ابي بكر فقال له ابو بكر : اما تستحيي تجيء كل يوم مهزوماً او مأسوراً لو عززت هذا الدين لرفعك الله فقال عمرو : لست بعائدٍ لمثلها[1]

شجاعته وقوته البدنية

لم يشتهر احد في العرب شهرة عمرو بالشجاعة حتى صار يضرب به المثل و بسيفه الصمصامة . وفي ذلك يقول ابو تمام

اقدام عمرو في سماحة حاتم : في حلم احنفَ في ذكاء إياس . ومع ذلك فقد كان بعيداً عن الدعوى يقرُّ لصاحب الحق بحقه شأن كل عظيم من ذلك قوله عن نفسه : لو سرت بظعينةٍ وحدي عَلَى مياه معد كلها ما خفت ان أُغلب عليها ما لم يلقني حرّاها وعبداها : فاما الحران فعامر بن الطفيل وعيينة بن الحارث ، واما العبدان : فاسود بني عبس (يعني عنترة) والسُّليك بن السلكة : فاما عامر بن الطفيل فسريع الطعن واما عيينة فاول الخيل اذا اغارت وآخرها اذا آبت . واما عنترة فقليل الكبوة شديد الجلب[2] واما السليك فبعيد الغارة كالليث الضاري . قالوا : فما تقول في العباس بن فرناس ؟ قال : اقول فيه ما قاله في

اذا مات عمرو قلت للخيل اوطئوا زيداً فقد اودى بنجدتها عمرو[3]

«١» الاغاني ج ١٤ ص ٢٤ «٢» الجلب الصوت «٣» الاغاني ج ١٤ ص ٢٧

ومن اخبار شجاعته انه لما وقعت موقعة القادسية كان عمرو في آخر الجيش بسبب ضعف فرسه وكان حينذاك على ما يقال ابن مائة وست سنين. فطلب غيرها فأُتي له بها: فاخذ بعكوة[1] ذنبها وشدَّ به الى الارض فاقعى الفرس فرده وأُتي بغيره ففعل به مثل ذلك، فتحلحل ولم يقع. فقال هذا على كل حال خير من ذاك. وقال لاصحابه اني حامل على القوم فان اسرعتم لحقتموني وجدتموني وسيفي بيدي اقاتل به تلقاء وجهي، وان ابطأتم وجدتموني قتيلاً بينهم ثم انغمس في القوم وحمل عليهم حملة شديدة. فقال بعض بني زبيد: يا قوم تدعون صاحبكم؟ والله ما نرى ان تدركوه حياً. فحملوا فانتهوا اليه وقد صُرع عن فرسه، وقد اخذ برِجل فرس رجل من العجم فامسكها وقد الحّ الرجل على ضرب الفرس فلم تتحرك. فلما غشيناه رمى الاعجمي بنفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال: انا ابو ثور كدتم والله تفقدونني. قالوا: اين فرسك؟ فاجاب: انها رميت بنشابة فشبت فصرعتني

وفي هذه الموقعة ضرب عمرو خرطوم الفيل مما كان سبباً في نصرة جيش المسلمين لان العرب لم يكونوا يعرفون حرب الفيلة وكذا خيلهم لم يتفق لها ان رأت فيلة من قبل فلما ضرب الفيل قوي العرب على الفرس فهزموهم. وقبل هذا كان ابو بكر بعثه الى الشام فشهد موقعة اليرموك وذهبت فيها احدى عينيه. ثم لما بنيت الكوفة اقام بها حتى وقعة نهاوند فحضرها تحت لواء النعمان بن مُقرّن ومات فيها

«١» عكوة الذنب: اصله

صفاته

قيل لم يكن في عمرو صفة سيئة سوى الكذب ، لكن صفاته الاخرى كانت تشفع له ازاء هذه الخلة الرديئة . وقد سئل احد المتعصبين لليمانية عن عمرو فقال : انه يكذب في الاقوال و يصدق في الافعال . وحكى ابو عمرو بن العلاء قال : وقفت يوماً بعمرو وهو يتحدث باعماله قال : غزوت في الجاهلية على بني مالك فخرجوامستعصمين بخالد بن الصقعب فحملت عليه بالصمصامة فاخذت رأسه . وكان خالد بن الصقعب حاضراً فقال بعض الجماعة : مهلاً ابا ثور قتيلك يسمع كلامك واشار اليه فاجاب: اسكت انما انت محدّث ثم التفت الى خالد وقال : انما نرهب هذه المعدية بهذه الاخبار ومضى في حديثه فلم يقطعه ، فقال له رجل : انك لشجاع في الحرب والكذب فاجاب : اني كذلك[1]

ومما كان عمرو متصفاً به انه كان محباً للهزل حاضر النكتة . قيل ان عمر فرض لعمرو الفين : فقال : يا امير المؤمنين : الف ههنا ، واوماً الى شق بطنه الايمن ، والف هنا واوماً الى شق بطنه الايسر ، فما يكون ههنا ؟ واوما الى وسط بطنه فضحك عمر وزاده خمس مئة

وفضلاً عما ذكرنا فقد كان عمرو من تلك البقية الباقية التي قال احدهالعمر : انا لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بحدالسيف ، فانه لم يتزلف ولم يخضع لارباب السلطنة . من ذلك انه حصلت بينه وبين عمر يوماً

(١) رسالة ابن زيدون ص ٢٤٥

ملاحاة[1] فاغلظ عمرو الى عمر فتوعده هذا فانشد عمرو

فلا تفخر بملكك كل ملك   يصير لذلة بعد الشماس[2]

فاجابه عمر صدقت فاقتص مني · قال: بل اعفو يا امير المؤمنين · ولولا آية سمعتها منك لجللتك بحد السيف اخذ منك ام ترك · قال ما هي ؟ فاجابه: سمعتك تقرأ: انه من يأت ربه مجرماً فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا · والله لو علمت اني اذا دخلتها مت لفعلت[3]·هذا بعض ما يبدو لنا من صفات عمرو ومن خلال هذه القصص المروية عنه وهي لا يعول عليها كثيراً لان للعصبية فعلاً كبيراً فيها · ولكن مع ذلك فهي خير ما يعطينا ، ولو صورة اجمالية ، عن الرجل ·

شعره ونثره

يعد عمرو من الشعراء المخضرمين وياتي شعره في الطبقة الثانية من الجودة ويغلب عليه وصف الوقائع والتحدث عن نفسه بالشجاعة شأن غيره من الابطال · وهو في كل ذلك صادق في لهجته يعبر عما يختلج به فؤاده· وهو فضلاً عن كونه شاعراً خطيب مفوه

ومن شعره قوله في اخته ريحانة لما سباها الصمة بن بكر وانهزمت زبيد امامه فتبعه عمرو يناشده ان يخلي عنها فلم يفعل · فلما يئس من ارجاعها رجع وهي تناديه بملء صوتها: يا عمرو فلم يقوَ علَى انتزاعها وقال

(١) ملاحاة: كلام شديد (٢) الشماس: الامتناع (٣) رسالة ابن زيدون ص ٢٤٤

امن ريحانة الداعي السميع[1] يؤرقني واصحابي هجوع ؟!
سباها الصمة الجشمي غصباً كأن بياض غرتها صديع
وحالت دونها فرسان قيس تكشف عن سواعدها الدروع
اذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

ومن قوله يفتخر

ليس الجمال بمئزر فاعلم وان رديت بردا
ان الجمال معادن ومناقب اورثن مجدا
كل امرئٍ يجري الى يوم الهياج بما استعدا
نازلت كبشهم ولم ار من نزال الكبش بدا
كم من اخ لي صالح بوأته بيدي لحدا
ذهب الذين احبهم وبقيت مثل السيف فردا

ومن اقواله انه سأله عمر يوماً عن السلاح فقال : ما قولك في السهام ؟ اجاب : انها مثل المنايا تخطئ وتصيب . قال : فما قولك في الرمح ؟ اجاب اخوك وربما خانك . قال فما تقول في السيف ؟ قال : العدة عند الشدة[2] ومن خطبه خطبته التي القاها امام كسرى وقد حوت اقوالاً حكيمة كقوله : انما المرء باصغريه : قلبه ولسانه وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة : بلاغ المنطق السداد وملاك النجعة الارتياد . الخ[3]

(١) السميع : المسموع (٢) المستطرف ج ١ ص ١٩٣ (٣) العقد الفريد

هذا جل ما وقفنا عليه في الكتب العربية من ترجمة هذا الفارس ولا شك ان اموراً اكثر خطورة مما ذكرنا قد اهملها المؤرخون العرب سامحهم الله. فان امر نشأته وكيف ربي وما هي العوامل التي اثرت فيه صغيراً امور لا تستدعي انتباههم لانك لا تجد لها ذكراً في الكتب العربية وهذا ليس نصيبه وحده فقد اصاب كثيراً غيره ما اصابه فليتأس وليقنع بما ذكر فليس من حيلة في الماضي

الصف الثالث　　　　اديب عوده

طريقة العرفاء[1] في التعليم

او الاولاد يعلم بعضهم بعضاً

جاء في الف ليلة وليلة ان بعض المجاورين كان لا يعرف الخط ولا القراءة وانما كان يحتال على الناس بحيل يأكل منها الخبز فخطر بباله يوماً من الايام ان يفتح له مكتباً ويقرئ فيه الصبيان فجمع الواحاً واوراقاً مكتوبة علقها في مكان وكبر عمامته وجلس على باب المكتب . فصار الناس يمرون عليه وينظرون الى عمامته والى الالواح والاوراق فيظنون انه فقيه جيد فيأتون اليه باولادهم . فصار يقول لهذا اكتب ولهذا اقرأ فصار الاولاد يعلم بعضهم بعضا

اشارت دائرة المعارف (معلمة) التربية لمنرو الى هذه القصة وقالت ان طريقة هذا الفقيه اتبعت فيما بعد في اوروبا واميركا وانتشرت انتشاراً كبيراً في الربع الاول والثاني من القرن التاسع عشر وعرفت هذه الطريقة

(١) العرفاء جمع عريف . جاء في القاموس عريف المكاتب الولد الذي يفوض اليه القيام على مراقبة الاولاد

بطريقة العرفاء . فكان الاولاد الكبار ينصبون عرفاء على الصغار ويتولون تعليمهم .

وقد عرفت هذه الطريقة في القرن السادس عشر ، ورأى احد السياح البرتغاليين الهنود يستعملونها سنة ١٦٢٣ الا انها شاعت في انكلترا عن يد رجلين اندروبل وجوزف لنكستر ، ادعى كل واحد منهما انه صاحب الفضل فيها (١) واشتد بينهما الخصام ، واحتدم بينهما الجدال على المسارح وصفحات الجرائد فزاد ذلك في تعميم الفكرة ، وكان من رخص المدارس التي اتبعت هذه الطريقة مبرراً لشيوعها في زمن ابتدأ الشعب يشعر فيه بشان التعليم . وادى ذلك الى تأسيس جمعيتين تعليميتين ، وهما الجمعية الانكليزية الاجنبية المدرسية والجمعيـة الوطنية قامتا بتأسيس مدارس تسير على هذه الطريقة في تعليم الاطفال التوراة والعلوم الدينية

اما اندروبل (١٧٥٣ — ١٨٣٢) ويعرف « بمكتشف » طريقة العرفاء في التعليم فكان طبيباً مبشراً ارسل الى الهند وفي طريقه الى كلكتا مر بمدراس وتعاطى الطب والتبشير فوجه قواه الى المدرسة هناك وكانت بحاجة ماسة الى معلمين . فالجأ الى اكتشاف الطريقة التي اشتهرت « بطريقة مدراس » نسبة الى منشئها . ولم تكن هذه الطريقة سوى تعليم الاولاد بعضهم بعضاً . ورأى في المدارس الهندية انهم يكتبون الابجدية على الرمل فاراد ان يدخل الطريقة في مدرسته فقاومه المعلمون واعترضوا عليه ورفضوا ان يجروا عليها ، فعهد الى بعض الاولاد بالمراقبة ومساعدته

(١) الفضل في اكتشاف الطريقة يرجع الى مقيه الف ليلة وليلة والله اعلم

« فظهرت » طريقته سنة ١٧٩١ ولما عاد الى انكلترا نشرها في كتاب سماه « اخبار في التعليم » الا ان الكتاب لم يستلفت الانظار الى ان ظهر لنكستر وصار يسترعي الانتباه

ومع ان بل اثر تأثيراً كبيراً على التعليم لم تكن شخصيته موثرة فلم يكن يملك مقدرة في اجتذاب الناس . كما انه لم ينتبه الى مساوئ طريقته . انظر اليه وهو يقول انه لو قيض له لانتظر ستة الاف سنة ليشهد طريقته؟ ومع ان بل نجح اكثر من لنكستر فقد كان اهله يطمحون بان يصير قسيساً فانضم الى جماعة الاخوان (Quakers المرتعشين) وهم طائفة مسيحية حرة لا قسس ماجورة لها ثم فتح مدرسة فتدفق عليه الطلاب وكانت كثرتهم تمنعه من تعليمهم جميعهم بنفسه كما انه لم يكن لديه مال ينفقه على معلمين ، فخطر بباله ان يعلم الاولاد الذين يعرفون شيئاً غيرهم من الذين يعرفون اقل (اي يعلمون بعضهم بعضاً) . ولما كان يجهل تاريخ التربية ظن انه اكتشف فكرة جديدة . فصاغها في قالب جديد واصدر بذلك كتاباً واضطر الى طبعه مرتين في سنة واحدة .

ثم كثر مريدوه من النبلاء واخيراً سمح له بمقابلة ملك انكلترا في ذلك الوقت جورج الثالث وذلك سنة ١٨٠٥ فاهتم الملك بطريقته كثيراً ومنحه عطايا مالية . ثم ابتنى لنفسه مدرسة كبيرة لم يكن يملك نفقاتها ، فبلغت ديونه ستة الاف جنيه ، فالقي القبض عليه ، واخيراً كفله بعض اخوانه . ثم حاول ان يفتح مدرسة داخلية ففشل ايضاً . واخيراً قرر المهاجرة الى اميركا . ولكن اخبار معاملاته المالية كانت قد وصلت الى اميركا

فلم يفلح كثيراً . وقد اتهم انه سرق طريقته عن بل ولكن هذه التهمة غير صحيحة .

اسمع ما يقوله لنكستر : عندما يقبل الطفل في المدرسة ،يعين العريف له صفه ، فاذا غاب فتش عن ذلك احد العرفاء ، واستفهم عن سبب الغياب آخر وكان يفحصه عريف في اوقات معينة وآخر يبري له اقلامه ، وآخر يحفظ له لوحه وكتبه ، ويراقب العرفاء ، رئيس عليهم .

وانتشرت الطريقة بالاكثر في فرنسا واوفدت جمعية تشجيع الفنون الوطنية الافرنسية اربعة من اعضائها الى انكلترا وذلك سنة ١٨١٤ لدرس الطريقة ، فعادوا وكتبوا كتباً في الموضوع كلها تصف عظم فوائدها . وكذلك انتشرت في روسيا فقد اوفد القيصر اسكندر الاول رسولاً الى انكلترا ليدرس الطريقة ، كما انها عمت في اسوج ونروج ، واتبعت في الدنيمرك في ٣٠٠٠ مدرسة وشاعت في اميركا وخصوصاً في القرى

والغريب ان الطريقة لم تنفذ الى المانيا وهولندا ، وذلك لان نظام التعليم في هذين البلادين كان حسنا ، كما انها لم تشع في البلدان المتأخرة حينئذٍ كايطاليا واسبانيا ، وقد استعملها المبشرون في الجزر الهندية الغربية ونجحت نجاحاً باهراً في جنوبي اميركا .

الخلاصة : ان طريقة العرفاء في التعليم هذه كانت موافقة لعصرها وقد تركت الاثار الآتية

١ — ادخلت اسلوباً جديداً في تقسيم الصفوف ،واعتبرت الحساب

والقراءة والتهجي اساساً للتقسيم

٣ — فاقت المدارس التي سبقتها في النظام والترتيب واختيار مواد الدراسة

٣ — جاءت في زمن كان الاهلون لا يقبلون برضاء على بذل الاموال للتعليم، كما ان الحكومات لم تكن تحمل مثل هذه المسئولية، واصبحت الهيئات الدينية عاجزة عن القيام بمطالب الزمان . فكان من هذه الطريقة السبيل لنشر التعليم .

اما نقائصها فتنحصر في :

١ — ان العمل المدرسي فيها كان رسمياً . يتمشى على قواعد محدودة

٢ — ان النظام كان قاسياً وعلى وتيرة واحدة . والاعتماد في الدروس كان على الذاكرة ؟

فما قول اخواننا المعلمين في هذه الطريقة ؟ وهل لها مجال في فلسطين الآن مع شيء من التعديل الى ان تنتبه الامة الى واجباتها نحو التعليم .

وهل من بأس في « ان يعلم الاولاد بعضهم بعضاً » رحم الله فقيه الف ليلة وليلة «المقدسي»

اخبار مدرسية

١ — اصبح الآن في دار المعلمين صفان ثانويان رابعان، سيتقدمان في نهاية هذه السنة لفحص التعليم الثانوي الانتهائي (Matriculation). ويؤمل ان يؤسس صف خامس اختصاصي في السنة المقبلة

٢— استلم ادارة المدرسة بالنيابة الاستاذ احمد سامح الخالدي ، ويقوم بتدريس العلوم الطبيعية الاستاذ سليم كاتول ب٠ع٠ مدير مدرسة يافا الثانوية سابقاً ، كذلك انضم الى المعلمين الاستاذ ضياء الخطيب ب٠ع٠ احد خريجي الجامعة الاميركية

قياسات جوية عن المختبر الطبيعي في دار المعلمين

مأخوذة عن ميزان النهاية العظمى والنهاية الصغرى للحرارة

«١» معدل أعلى درجة بلغتها الحرارة في تشرين الاول ١٩٢٥ = ٢٢،٦ سنتغراد
" ادنى " " " " " " " " = ١٥،٨ "

«٢» معدل أعلى درجة بلغتها الحرارة في تشرين الثاني ١٩٢٥ = ١٧،٨ "
" ادنى " " " " " " " " = ١٣،٦ "

. . .

عن ميزان سقوط المطر الموجود في المدرسة

«٣» ابتدأ سقوط المطر في القدس من ٢ تشرين الثاني ١٩٢٥ واصبح مجموع سقوطه حتى ٢٦ منه = ٣٣٤ مليمتراً مكعباً على السنتمتر المربع اي ٣٣،٤ من السنتمتر المكعب

بيان للقراء

رأينا تتميماً للفائدة ان نصدر المجلة في اربعة اعداد كبيرة نضمنها ابحاثاً مفصلة تهم المعلمين ٠ ولا يخفى ان عدد الصفحات وقيمة الاشتراك لم يزالا كما كانا

والادارة تأمل من القراء تسديد حساباتهم المتأخرة

اصلاح خطأ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٠	١٧	والسادسة عشر	والسادسة عشرة
١٠	١٨	والرابعة عشر	والرابعة عشرة
١٦	٨	منهجاً خاصاً	منهج خاص
٢١	٤	محاطاً	محاط
٢١	٤	بكولونيدس	بأعمدة

فهرست

صفحة		
١	نظام التعليم التركي	لاحمد سامح الخالدي
١٧	تحصينات القدس	لجيروم فول
٢٢	اسئلة رياضية جديدة	لابرهيم قمر
٢٤	التصوف	لضياء الخطيب
٣١	طبقات الارض لسوريا وفلسطين	لسليم كاتول
٣٩	رحلة في سوريا	لدرويش المقدادي
٦١	رسالة في اللغة العربية	لحبيب الخوري
٦٧	عمرو بن معديكرب	لاديب عوده
٧٤	طريقة العرفاء في التعليم	للمقدسي
٧٩	اخبار مدرسية	
٧٩	قياسات جوية ، ميزان المطر	
٨٠	بيان	
٨٠	اصلاح خطأ	

محلات

عبد النور صالح و يوسف الانقر

اشتهرت هذه المحلات باعداد الخبز الطيب للمدارس الآتية:

دار المعلمين ودار المعلمات ومدرسة الفرير وراهبات صهيون وراهبات مار يوسف في القدس.

ومدرستي الصبيان والبنات الاميركيتين في رام الله.

مرحباً بكل المدارس فانا مستعدون لتقديم كل اكرام وخدمة لها



Holeproof Hosiery

افخر انواع الحرير واقوى
انواع القطن وخبرة اشطر
الحياكين واتقن الصباغين واختبار
خمسين سنة بصناعة الكلسات
مجموعة كلها بكل زوج من

هولبروف الاميركية

التي اصبحت آخر ما وصل
اليه العقل البشري بعمل كلسات قوية وجميلة ورخيصة تريح
السيدة من عذاب الترقيع وتوفر الدراهم في هذه الايام الصعبة هي
الوحيدة المكفولة حقيقة

لاحظوا العلبة الصفراء

المستودع العمومي

محلات حنوش ومليكيان

القدس يافا وحيفا